

حميد عقي

نشوان - يا إلهي - ليلة عاصف

ثلاثة نصوص مسرحية من زمن الحرب اليمنية

شبكة أطراف الثقافية للدراسات والترجمة والنشر



المغرب

الكتاب: نشوان . يا إلهي . ليلة عاصف

المؤلف: حميد عقبي

الإيداع القانوني: 2024MO0497

ردمك: ISBN: 978-9920-8923-9-1

الطبعة الأولى: 2025

لوحة الغلاف: حميد عقبي

جميع الحقوق محفوظة

شبكة أطراف الثقافية
لدراسات و الترجمة والنشر

Atyaf Cultural Network
For Studies, Translation and Publishing



الرباط - المغرب

<https://acnspt.com>

info@acnstp.com

الإهداء

إلى الحالمين بموت رقيق القلب
يأتي بعربة مزينة بالزهور ورايات بيضاء
موت يتقن مهنته ويؤدّيها كملاك
إلى الحالمين بوطنٍ يتسع للجميع
إلى الحالمين بميلاد المسرح اليمني

كلمة شكر خاصة

كل الشكر والامتنان للشاعر والناقد اليمني د. أحمد الفلاحي وشبكة أطيف الثقافية للدراسات والترجمة والنشر للدعم في نشر هذا الكتاب.

وإلى الفنانين الأعماء الفنان المسرحي نزار الكشو والفنان صفوت الغشم والفنان د. سعدي يونس بحري لمناقشتهم نص نشوان بعد جلسات طويلة مغلقة ومهمة جعلت النص ينضج ويتطور وإلى الصديق صبري يوسف لتعاونه في المراجعة والتصويب اللغوي.

نشوان .يا إلهي .ليلة عاصفة

النصوص الثلاثة في هذا الكتاب تُجسّد تجربة تأملية وأدبية تحاول الغوص في أعماق الحرب والإنسانية من خلال عدسة المسرح. تتجاوز هذه النصوص الإطار الشخصي لتصبح انعكاسًا للحالة اليمينية وللإنسانية جمعاء عندما يواجهنا الألم والدمار. إنها دعوة للتفكير في دور المسرح كمساحة للإبداع والسلام، وكأداة للتعبير عن معاناة المجتمعات وتطلعاتها.

في نص "نشوان"، يتجلى المسرح كمرآة للفوضى الداخلية والخارجية للشخصيات، حيث يُجسد العمود الحجري والدائرة المرسومة رموزًا للبحث عن معنى وسط العبثية. أما في "يا إلهي"، يتشابك الحوار بين الشاعر والمرأة ليبرز صراعًا أزلًا بين الأمان والتحرر والقيود، معتمداً على مقتطفات شعرية بديعة من نصوص الشاعر اليمني عبدالعزيز المقالح تُجسّد شغف الإنسان بالحياة رغم قسوة الحرب. وفي "ليلة عاصفة"، يأخذ الصراع

شكله العبثي، حيث تنتقل الشخصيات بين المهزل والمأساة، في محاولة لاستعادة إنسانيتها عبر الغناء واستحضار ذاكرة الأرض.

تُقدّم هذه النصوص تجربة مسرحية تمزج بين العبثية والرمزية، بين الشعر والمسرح، وبين الأسئلة العميقة والإنسانية، لتبرز دور الفن كوسيلة للتأمل والتعبير عن المأساة والبحث عن السلام. إنها ليست فقط انعكاسًا لتجربة شخصية، بل دعوة لكل قارئ ومشاهد للتفكير في ما يقدمه المسرح كفنٍ خلاقٍ يحمل شعاع الأمل وسط أحلك الظروف.

نشوان

المشهد الأول

يبدو المنظر كأنه أتيليه للرسم أو بيتاً لفنان وكاتب، وهو عرضة للقصف، لكن هذا لا يتضح للوهلة الأولى، ومع توالي الأحداث ندرك ما يحدث، تتوزع عدّة طاوولات مختلفة الأحجام بشكلٍ عشوائي، لا نرى في البداية مميزات للمكان ولا الزّمان.

لا نستكشف كل تفاصيل المكان في الوهلة الأولى وتّضح تفاصيل أكثر كلما أوغلنا مع الشّخصيّة.

الشّخصيّة، الشخص رجل في السّتينات من عمره وهو الشّخصيّة الوحيدة.

يعجُّ المكانُ بأشياءٍ كثيرة، تتوزع بشكلٍ فوضوي، أوراق وكتب مبعثرة على الأرضيّة، أشياء شخصيّة تخصّه والكثير منها له مدلولات عدّة، حيثُ تتعاملُ معها الشّخصيّة لتعطيها قيماً إنسانيّة وجماليّة متنوّعة.

يكون الشخص على كرسي أمامه طاولة يبدو أنه يستخدمها كمكتب وطاولة عليها عدّة زجاجات من البيرة والويسكي وفنجان قهوة وقناني ماء معدني، بعضها فارغة ويوجد جهاز راديو وعدّة أشياء للكتابة والرّسم.

تسقط بقعة ضوء تتضح بعض ملامح الشّخص اذ يبدو متدنّثراً ببطاينة شتوية تشبه تلك التي توزّع على المتشرّدين أو اللاّجئين. يوجد على الطاولة أيضاً علب سجائر فارغة ومنفضة مليئة بأعقاب السّجائر.

يبدو أنّ الشّخص ومنذ اللّحظة الأولى في حالة ذهولٍ وكأنّه غير مستوعب لما يحدث له.

يمسك بيده خارطة كبيرة، يرفعها، تغطّي وجهه تماماً .. يحاول أن يضعها على الطاولة لكنّه لا يجد المكان، تسقط قنينة بيرة فارغة وبعض الأشياء.

تغمره إضاءة بيضاء مخلوطة بالزّرق، هنا تظهر ملامح وجهه وأثر كدمات وجروح وبقع الدّم. يتجمّد للحظات.

ينظر إلى ما حوله وهنا يبدأ التأمّل للمكان.
يسود المكان الصّمت المطبق
تظُل العتمة تمنعنا من روية أغلب التّفاصيل الموجودة
الشّخص في حالة ذهول تام.
نسمع صوت منبهه للاستيقاظ لكننا لا نراه ويكون بمثابة
للشخصيّة

يبدو كأنّه تذكّر شيئاً ما مع سماعه صوت المنبه، يحاول أن
ينهض، يجد صعوبة كبيرة، بعد عدّة محاولات ينهض وتكون
خطواته ثقيلة.

هنا يسأل نفسه عدّة أسئلة حول مكانه وزمانه وماهيّته.
يطرح هذه الأسئلة وهو ما يزال في حالة ذهول.
يردّد ويكرّر الأسئلة، يبدأ متلعثماً ثمّ يتّضح صوته أكثر.

من أنا؟ أين أنا؟ ماذا يحدث هنا؟
شيئاً ما حدث ويحدث هنا؟ أظنّه شيئاً جسيماً ومرّوعاً.

أشياء تحدث جعلت هذا المكان يبدو غريباً وفي حالة فوضى، لا شيء في مكانه، لا أظنُّ أنَّ الأشياء تتغيَّر أو تنقلَّب أو تنكسر لوحدها، هنالك دوماً فعل فاعل .. هل تتفقون معي؟

خلال ترديد هذه الأسئلة، تندرج صخرة كبيرة، تأتي من يمين المسرح وتكاد تصدم به.

يطرح الكثير من الأسئلة على نفسه وعلى الجمهور خلال حديثه، الأسئلة التي تبدو متشعبة، يتلون الأداء ويتحوَّل من التراجيدي إلى كوميدي.

يبدو كأنَّه يتدكَّر شيئاً ما، لكنَّه ينصرف انتابجه إلى الحجرة الكبيرة التي تدحرجت، يقف أمامها، يتأملها للحظات، يبدأ التَّعامل معها، يلمسها وتنوِّع ردود أفعاله، يكون كالحائف المفزوع، ثمَّ يتشجَّع ويلمسها، يحاول زحزحتها، ينجح في زحزحتها ويختار لها مكاناً مميزاً، ليس بعيداً من دائرة مرسومة على خشبة المسرح نستكشفها فيما بعد.

نبدأ نسمعه يتحدث بصوتٍ خافتٍ، ثم يعلو إيقاع الصوت.

تذكّرت .. لا سوف أحاول التذكُّر.. يجب أن أتذكَّر.. أظنُّ
أنيّ مرّيتي حمام، وأهوى غناءه ورقصه، أجنحته المزركشة وصدرة
المنفوخ عند التّغريد، عشُّ الحمام بالسّطح، لا أدري هل كنت
فاقدًا للوعي؟ أتدرون كم مرّ من الزّمن وتلك الحمام الجميلات
دون طعام ولا ماء، أمّتى أن تكون بسلام، لا أدري أين كيس
الطّعام؟ ولكن هي على السّطح! كيف أستطيع الوصول إليها؟
هل ترون منفذاً أيّ مخرج من هنا، باباً أو نافذة؟ هل يوجد من
طريقة عاجلة وسريعة لإنقاذهم من الجوع والعطش وربّما بعضهم
في حالة خطيرة.. نعم أشعر بألمهم ويجب أن أفعل شيئاً
للخروج من هنا.

يتحرّك ويكون قلقاً، خلال حركته التي توحى أنّه يبحث عن
طعامٍ للحمام، يقوم بترتيب بعض الأشياء المتساقطة على أرضية
المسرح ويظلُّ محتفظاً بالبطانيّة على جسده، يعثر على بعض

الخبز اليابس، يفرح، يأخذه، يتحرّك إلى مقدّمة المسرح، قرب
الحجرة الكبيرة ويستخدمها كطاولة، يفتّث عليها الخبز، يجد
بعض الأوراق، يلتقط بعضها، يستخدم واحدة لجمع فئات
الخبز، يتفحص بعض الأوراق. يبدو أنّه تذكّر شيئاً جديداً

آه آه .. تذكرتُ، ربّما أنا ممثل مسرحي، نعم .. أعتقد أنّي كنتُ
أدرّب وأحفظ دوري كبطل، أي شخصيّة وما حكاية هذه
المسرحيّة؟

أظنُّ أنّ البطل كان فناناً رساماً وكاتباً أيضاً.. وطنه تعرّض
للدمار، أرضه تغتالها الحرب وأهله أصبحوا جوعى ومرضى،
أعتقد أنّه يُشبهني أو أنا أشبهه .. سوف أحاول أن أتذكّر.
أحتاجُ إلى بعض الوقت، لكن ماذا أصاب الآخرين، جيراني
وأصدقائي؟ هل ترون أحداً؟ هل ماتزال البيوت واقفة بزينتها
ونوافذها وضجيج الأطفال وغناء الأمهات؟!

يبدأ يتحرّك

ويصرخُ منادياً بعض جيرانه

يتعمَّق لديه الإحساس بالعزلة والإنغلاق ويظلُّ قابضاً على الأوراق وطعام الحمام، يصلُّ إلى الطاولة التي ظهر بجوارها أوّل مرة، يأخذُ قنينة ماءٍ، يشربُ قليلاً، يأخذُ عدّة أنفاسٍ، يعودُ لتأمّل المكان، يجدُ على الأرضيّة نبتةً صغيرة، يسرعُ يلتقطها بعناية، يتلمّسها، يتّجه إلى حيثُ الحجرة الكبيرة، ويضع النّبتة بجوارها، يسقيها والفرح يظهرُ على وجهه، كأنّ هذه النّبتة أعادت روحه

خلال هذا الفعل يبدأ يغني أغنية تراثية للمزارعين.

ينتهي من سقي النّبتة، يعودُ لتأمّل المكان واستكشافه وفي كلّ مرّة نجدُ أنّه يشعرُ بفضاعة ما يحدثُ له وقسوة المكان المغلق، يعود ليلتقط بعض الأوراق، يتأمّلها، يتسّم، تبدو على وجهه الحيرة، ممزوجة بالخوف.

يعثر على بعض الأغصان الصّغيرة اليابسة، تسقط الأوراق من يده، يلتقطُ بعض الأغصان، بعضها يبدو محروّقاً قليلاً،

يحتضنها، يأخذ شهيقاً ثمّ زفيراً، ينظر إلى الأعلى، يتذكر شيئاً
ما.

يتلاشى الأصفر، يكادُ يندثر
لا أحد ينعي الخريف ولا يودّع رحيله
في انتظار الأبيض
الثَّلج نعم الثَّلج لعلّه ينهمرُ اللَّيلة
وربّما غداً سيكونُ مفرحاً
في تلك الأعالي والقمم سيحرقُ السّاحرات الشّرّيرات
وستكون مناسبات الأعراس.
يتوقف للحظةٍ عن الكلام.

بعدَ إكماله الكلام مباشرةً تندرج حجرة أخرى من يسار
المسرح، يُصاب بالرّجفة والخوف، تتنوّع ردّة فعله كأنّه ينتظر
تدريج أو سقوط مزيد من الحجارة.
ينظر للطاولة والمكان كأنّه يستكشفه للمرّة الأولى.

أودُّ أن أتذكَّر، ربَّما كنتُ مزارعاً بسيطاً، أو صيَّاد سمك؟ لكن
أين الأرض؟ أين البحر؟ أين النَّاس؟ أينكم؟ ماذا أفعل هنا؟

يرددها كأنه يريد أن يتذكَّر ما يحدث له

مع كلِّ فعلٍ وكلامٍ وحركة، تحاول جعلنا نتصوَّر ماذا حدث وفي كلِّ لحظة، ينقلنا الشَّخص بحذر لفهم حكايته، لكنَّ يعودُ كأنه نسي ما قاله وفعله ويعودُ لحالة من الذُّهول والهديان، حالة من البناء والهدم كأنه يهرب من مسارٍ حكايتيًّا متسلسلاً واضحاً، كما أنَّ الشَّخص كمن ينسلخُ من نفسه ويتعد عن اكليشة ثابتة، يعود في بعض الأحيان ليكون بسيطاً جدًّا وإنسانيًّا عاديًّا جدًّا.

يتَّجه الشَّخص نحو الحجرِ الثانية، وتكون بلونٍ مختلف قليلاً عن الأولى وحجمها أقل، يدحرجها بصعوبة إلى موضع الحجرِ الأولى، يبذلُ جهداً كبيراً، حيث يقومُ برفعها ووضعها فوق الحجرِ الأولى كأنه يؤسِّس لعمل عمود أو هرم من الحجر، مع نجاح وضع الحجرِ الثانية يكون الشَّخص مرهقاً جدًّا، يجلس على الأرضية، يأخذُ أنفاساً عميقة.

هنا نسمع نبضات قلب سريعة، تترجح بعدة أصواتٍ كأننا في غرفةٍ للعناية المركزة وصوت أجهزة تنفّس وتبدو هذه الأصوات التي نسمعها بشكل مرتفع، كأنها تدور الآن في ذهن هذا الشخص.

ترتسم ملامح الدّهول والصّدمة مرّة أخرى على ردود فعلها، مع ارتفاعٍ متزايدٍ للأصواتِ ثمّ صمتٌ تام.

يحاول الوقوف، يجد صعوبة كبيرة للنهوض، بعد محاولات عديدة ينجح من الوقوف لكنه يظلّ عاجزًا عن التّحرك، يضمُّ البطنية إلى جسده، ممّا يجعلنا نشعر أنّه في مكانٍ بارد، يده ترتعش، جسده يرتجف.

نسمع مؤثّرًا موسيقيًا كأنه يترجم القلق والصّراع الدّاخلي لهذا الشخص الذي يتسمّر في مكانه دون حراكٍ وتستمرّ الموسيقى لدقيقتين أو أكثر ثمّ صمتٌ تام.

مع تغير الضوء بصورة تدريجية، يجعلنا نستطيع رؤية أكثر وأوضح للأشياء القريبة منه حيث نرى في العمق طاولة أخرى عليها معطفاً شتوياً كذلك على كرسي آخر ليس بعيد من جهة اليمين نرى بنطال رجالي وفي مقدمة المسرح نرى فردة حذاء.

يحدث ما يشبه بالقصف الضوئي على كل جوانب الخشبة وكأن الضوء هنا يشبه أيضاً ومضات أو فلاش تركز على بعض الأشياء وتمنحها معاني جمالية وتشكيلية.

يبدو أنّ الشخص أيضاً له القدرة الآن على رؤية هذه الأشياء وتوجه وجهه نظره إلى الحذاء.

هنا أيضاً نرى في وسط الخشبة وأقرب من المقدمة رسماً غريباً لدائرة ملونة بالأبيض والأسود وهي رسمة ذات إحاء تجريدي كأنها رسمة تستخدم في طقوس روحانية أو سحرية، تصبح أكثر وضوحاً مع زحف الشخص نحوها، يسحبُ شرشفاً يغطي بعض معالم الرسمة، لكنها الآن تصبح واضحةً بفضل هطول بقعة ضوء عليها لمنحنا رؤية مريحة، يظل تأمل الشخص للمكان ليمنحه قيمة إضافية فيها نوع من الغرابة نلاحظ تعابير متعددة للوجه .

هنا يحاول الشخص التّقدّم، يفشل، وبعد عدّة محاولات يستطيع
كسر حالة الجمود التي أصابته.
خطوات ثقيلة وألماً قاسياً يعانیه من جديد.
يشيرُ بيديها تجاه الحذاء.
ثم يخطو خطوات شجاعة.
يفرح، يضحك، يعاود الكلام كأنّه يريدنا أن نشعرُ بروح
التّحدي والمقاومة.

يتّجه مرّةً أخرى نحو الطّاولّة، يأخذ قبضةً من الأوراق، يسير
بضع خطوات، ينثر الأوراق وكأنّه توزّعها على النّاس والقراء.
بفرح، ضحكٌ ..

آه .. أتذكّرُ، ربّما كنتُ كاتباً .. نعم أظنُّ ذلك .. أجدُ متعةً
ومشقةً أن تخلق شخصيّة سعيدة في عالم بائس ومخيف، أو
شخصيّة بائسة تزيد من سوداويّة وفتامة هذا العالم. ماذا يجب

أن نكتبَ قصصاً تُشبه أكاذيب هوليوود؟ ربما تعجبكم أفلام
الرُّومبي والرَّعب ومشاهد الدَّم؟
لكننا نعيشُ زمنَ الحروبِ.. تعالوا بأنفسكم وشاهدوا ماذا
يحدث هنا؟ نعم .. نعم هنا أحداثا كثيرة ومرعبة.
في ذهني الآن مقطعاً صغيراً من هذيان الشخصية التي .. أن
تكون .. إنسانية..

شخصية شاعر يراقص موج المحيط،

تلامس أقدامه الشاطئ البارد

يعود إلى الخلف

سينوغرافيا ورقصات بديعة

تقذف الشمس تلك الحمرة الممزوجة بالأصفر عند الغروب

ثمّة عشاق في انتظار اللحظة

تتشابك أصابعهم

العشاق

وحدهم من يستحقُّ هدايا الربيع.

تكاؤ الكلمات التي يتلفظ بها، تمنحه قوة جسدية ومعنوية إضافية. تمكنه من التحرر أكثر من الجمود، يبدو أكثر قوة لمواصلة عدّة خطوات نحو فردة الحذاء، وفعالاً يستمر إلى أن يصل إليه، ينحني بصعوبة، ثمّ يجلس، ينظر إليه ثمّ يمسكه برفق ويضمّه إلى صدره.

يعودُّ للهديانِ

الرّقص هو الحياة، لا حياة بلا رقص، لا رقص بلا أقدام. كم اشتقتُ أن يكونَ لي حذاء وأقدام قادرة أن ترقصَ وترقصَ وتتسلّق تلك المدرجات الغارقة في عطر البنّ والرّمان والعنب.

يتوقّف للحظاتٍ، يتسمّم كأنّه تذكّر شيئاً جديداً.

يسمع مقاطع صغيرة جداً من الموسيقى والأغاني والأهازيج اليمينية تمتزج مع الزّغاريد.

يسيرُ عدّة خطواتٍ ثمَّ يتوقّف ليأخذ جهاز الرّاديو، يمسه،
يحتضنه.

نسمعُ مقطعَ أغنيةٍ شعبيّة، مدهشةٌ تغنيها شخصيّة نسائيّة.
يظلُّ الشخصيّة مستمتعًا بهذا الحلم القصير جدًا.
معَ نهايةِ الغناءِ تختلفُ الأضواء، تركزُ على وجهه ثمَّ تتابع مسيرته
حيثُ تتّجه إلى الدّائرة الغريبة، ويبدأ في التحدّث إلى الجمهور:.

رغم التّلوث والضّجيج، لا تزال هناك نجومات في السّماء يرقصن
رغم العطش تتفتّح بعض زهرات نبات الصّبار
يقذف البحر وجعه

بوسع اللّون الأزرق أن يرسم قلبَ عاشقٍ
في زمنِ الحربِ نفتقدُ الأكفانَ البيضاءً
يتصاعد البخورُ بلونٍ أصفر ثمَّ يميل إلى البرتقالي
تنمو عناقيدُ الألم يبدو وجه صنعاء شاحبًا لا يضحك ولا يبكي.

هنا تأتي حجرة من عمق المسرح وتكون بحجم الحجرة الثّانية،
تدحرج على خشبة المسرح، ينتبه لها، بعد توقف الحجرة يقوم

بزحزحتها إلى مكان الحجرتين، يضعها عليها بحيث تكملُ بناءَ
شكل عمودٍ من الحجارة.

يتذكّر مواقف ومشاهد من عدّة أسواق يمنيّة.
يتعايشُ مع الذكريات، ملوّناً صوته بعدّة لهجاتٍ يمنية، ويصوّرُ
لنا هذه الأسواق بضجيجها وبهجتها وروح أهلها ومرتابها
وباعتها.

باب السبح يخلو من بايعات اللحوح
أسمع صوت الباعة المتجوّلين
صنادل، سجائر، بيرة، كحول
فياجرا طبيعيّة
عسل ليلة الخميس
كذلك في ميناء الصيّد تتعالى الأصوات
يا جمبري، يا غالي، للمتزوجين الحالي
في صيرة، البخور والورد والكاذي والعنبروت

هنا بصوته يغني كوكتيلا. مبتكراً أغنية ملوثة بعدة لهجاتٍ يمنية
ترجمُ شوقه وحنينه للحياة والفرح والأرض والناس.

تصبح الشخصية أكثر ديناميكيةً، ترقصُ كوكتيلا من الرقص
اليمني مع نهاية الرقص .. كأنَّ شيئاً غريباً وقوّة خفية تجذبها إلى
وسط الدائرة، حيث تحاولُ الشخصية جذب نفسها إلى
الخارج، يحدث صراعاً مرهقاً تخوضه الشخصية لتجنب الوقوع في
الدائرة، نشعر بنجاحها ومقاومتها، لكن فجأةً كأنَّ قوى عدّة
لا يراها تتدافع لهزيمة الشخصية، كأنها تتلقّى ضربات ولكمات
موجعة على الرأس والظهر والصدر، ينتهي الصراع بوقوع
الشخصية في الدائرة.

ظلام تام

المشهد الثاني

تستمرُّ الظلمة لبعض الوقتِ ثمَّ تبدأ تنقشع بشكلٍ تدريجيٍّ، يتصاعدُ دخان من مبخرة تظهر على إحدى الطاولاتِ بعمقِ المسرح، تنتبه لها الشخصية وتكون ماتزال ملقاة على الخشبة، خارج إطار الدائرة، يكون للبخور تأثيرًا إيجابيًا، هنا تنهض من مكانها تتجه إلى المبخرة، تأخذها، تتقدّم بها إلى وسط الخشبة كأنّ البخور يمنحها قوّةً إضافيّةً ساحرة.

نسمع همس الشخصية :-

نشوان.. نشوان .. نشوان

أين أنت؟

نشوان .. أعدني ذلك الفلّاح، يحرثُ دونَ كلِّ ولا مللٍ وينشدُ
الأهازيجَ

ساعدي، انقذ عسافيري وحماتي المسكينات
نشوان صدَّ عنَّا هذا الضَّجيجَ
ساعدي كي أرفعَ علمنا الموحدَ فوقَ السَّواري بقممِ الجبالِ
والسُّهولِ

نسمعُ صوتَ ركضٍ ولهثاتٍ، شخصٌ آخر غير مرئي
يركضُ

ثمَّ نسمعُ صوتَ الرِّيحِ ثمَّ سقوطَ المطرِ
العديد من المؤثرات تخلق حالة من القلق، وكأَنَّها تجعلنا
كمشاهدين ننتظر حدثاً مهمّاً.

تنقشُ الظلِّمةُ أكثر في عمقِ المسرحِ وعدّة جوانب، يظهر
معطف الشخصيّة على جذعِ شجرةٍ والذي يكون على كرسي
من قبل.

تعود حالة الشُّعورَ بالبردِ ويرتعدُ جسدُ الشخصِ مع قِلَّةِ البخورِ المتصاعدِ، ينظرُ إلى المعطفِ، يتَّجهُ إليه بخطواتٍ مسرعةٍ رغمَ الألمِ إلى أن يصلَ إليه يأخذه ويتركُ البطانيَّةَ التي كان يتدَثَّرُ بها وكذلك المبخرة، يلبسُ المعطفَ، يشعرُ بالدفءِ، يبتهج قليلاً، يتأمَّلُ جذعَ الشَّجرةِ ثمَّ يأخذهُ بجمانٍ ويحافظُ على المبخرةِ، كأنَّه يتعاملُ مع جسدِ إنسانيٍ يحاولُ منحه القداسة بتبخيره، يسيرُ بالجذعِ خطوات.

يتعامل مع الجذعِ كشخصيَّةٍ مساندةٍ وصديقةٍ، كأنَّها شخصيَّةٌ نشوانٌ التي تمَّ ترديدها قبل لحظات، بحيث يسعى الشَّخصيَّةَ عبر تعاملها مع هذا الجذعِ لخلق أنواعٍ من الإيهامِ والحلمِ بشخصية نشوان.

يكون مرتبكاً وخائفاً لا يدري إلى أيَّةِ جهةٍ يسيرُ، يخطو خطواتٍ إلى الأمامِ يميناَ ثمَّ يساراً، يتوقَّفُ يعاودُ المشي إلى أن يستقرَّ يساراً مقدِّمة الخشبة، وهو يحملُ الجذعَ، تارةً يكونُ الجذعُ على اليمينِ وتارةً على اليسارِ، تارةً يختفي خلفَ الجذعِ وتارةً يجعله خلفه كمن يخافُ عليه ويظلُّ التَّعاملُ مع الجذعِ بطرقٍ متعدِّدة

تمنحُ الأهميّة والقوّة خلال الحديث وتحوّل هذه الأداة إلى
شخصيّة فاعلة، تأخذ عدّة أدوار.

يهمس فينا :-

الأشجار عاريةٌ ليس بسببِ الشّتاء ولا قدوم التّلج
كان يمكنها أن تظلّ واقفةً متحدّيةً البرد والصّقيع
هنالك أشجار ماتزال واقفة ومثمرة من عصور قديمة وكانت ستظلّ
تعطينا البهجة

الأشجار في بلادي مثل البشر
الكلُّ يموتُ من القصفِ والحريقِ والدُّخان
الكلُّ أصبحَ عارياً، مريضاً، مجهداً وحزيناً
رأيتُ أمّي تبكي
سألّتها

هنا يضع الجذع يحاول جعله واقفاً، يضعه على الأرضيّة، يذهب
يحضر طاولة يضعه عليه برفق

يعاودُ الحديثَ إلى أمِّهِ وتستمرُّ العلاقة مع الجدِّع كأنَّها شخصيَّة
الأُمِّ: -

سألْتُكَ يا أمِّي

يكفي حزناً وبكاءً

قالت فقدتُ أخي، وفقدنا أخاك وجارنا البقال ومغسِّل الموتى .

عدَّدتِ العشراتُ كلَّ يومٍ هنا يوجدُ موتٌ، قد يدفنون بلا غسلٍ ولا
كفنٍ، بلا وضوءٍ لأطرافهم ودون تمشيط شعرهم ودون سكبِ العطرِ
والمسكِ على أكفانهم ودون بخور، ببساطة هم فقدوا معظم اطرافهم،
جماجم مهشَّمة ودامية وأكلت النَّار وجوههم.

كانوا طيِّبين، مساكين لا يعرفون السِّياسة ولا يسمعون نشرات الأخبار
ولا يمتلكون بطاقات حزبيَّة.

كانوا يمتلكون قلوبًا طاهرة وأحلامًا بسيطة جدًّا

لم يكونوا شرهين في الأكلِ ولا حتَّى الأحلام

يتوقَّفُ عن الكلام، يصمْتُ.

هنا تسقطُ عدَّة كتبٍ كأنَّها سقطتْ من السَّقْفِ، يهتُّزُ الشَّخص
لهذا الحدِثِ، يهرُغُ نحوَ الكُتُبِ، يلتقطُها، يضمُّها إلى صدره،
يتصفَّحها بعضها، يتوقَّفُ كأنَّه سيلقي نصًّا لكن تعابير الوجه
تكون مختلفة كأننا مع شاعرٍ أعمى

يهمس فينا: -

وقف الشَّاعر اليميني عبدالله البردوني في مهرجانِ المربدِ، يصوِّرُ حالنا كأنَّه
الآن معنا.. نعم هو معنا
يتقمَّصُ شخصيَّة البردوني بضحكته السَّاخرة، يظلُّ يضمُّ الكُتُبِ
لصدره
ثمَّ يتقدَّمُ بحذرٍ شديدٍ، ملقياً جزءاً من قصيدةِ أبو تمام مبتدئاً بمقطع
"ماذا أُحدِّث عن صنعاء يا أبتى"

بعد نهاية الإلقاء، يكونُ الخروجُ من شخصيَّة البردوني
والعودة شخصيته صعبة، فكلما يبدأ يتحرك أو يقول جملة
صغيرة، يؤديها كأنَّه أعمى أو كمن يصاب بالعمى المؤقت

للحظات، يصارع من أجل الخروج من شخصية البردوني وبعد محاولات مرهقة يتمكن من ذلك، يشعر بالراحة ويختبر بصره ليتأكد أنه يرى الأشياء حوله.

تمرُّ لحظات صمت وسكون

يتَّجه لشربِ بعض الماء، يشعلُ سيجارة يستمتع بلحظات التدخين، يضعُ الكتب.

يعودُ إلى تأمُّل المكان، ينظرُ إلى نفسه، يتراجع الى الوراثة ثمَّ يتَّجه إلى العمقِ كأنَّه يبحثُ عن شيءٍ، يتوقَّف أمامَ كرسيٍّ عليه بنطاله، يأخذه يلبسه، يجدُ سطلاً، طست ماء يضعه على طاولة ويمسح وجهه، يصلح من شأنه، يجد منشفة ينشِّف وجهه يزيل الدَّم ويمشِّط شعره .

يتقدَّم أكثر، يصبح أكثر أناقةً، يجدُ دفترًا، يمسكه، يتصفَّحه، ثمَّ يجدُ جهاز راديو صغير، يمسكُه يتفقَّدهُ ويحاولُ تشغيله.

يسمَعُ صوتَ زقزقةِ عصافيرٍ وخريرِ الماءِ
ينظرُ إلى الأعلى، يستمرُّ بالبحثِ عن مصدرِ الصَّوتِ
يتوقَّفُ مدركاً أنَّ ذلكَ ربَّما حلمٌ
يسمَعُ صوتَ ضجيجِ حافلاتٍ
يبتسمُ، كأنَّه يشمُّ هواءً عليلًا،
يدندنُ بأغنيةٍ شعبيةٍ
يعودُ للحديثِ:..

كأني سمعتُ صوتَ الهدهدِ، هل لا يزالُ يتلصَّصُ، بلقيسِ افتحي كلَّ
النوافذِ، أرقصي بكلِّ الحدايقِ والجنَّاتِ، أرقصي فجنودك أفياء، بلقيسِ
قالت لا للحربِ، لا أريدُ أن أفسدَ أحلامكم سيظل الماء يتدفَّقُ من
ألفِ سدٍّ وسدٍّ، وستظلُّ الشَّمسُ تشرقُ كلَّ الصِّباحِ ضاحكةً ورقيقةً
والأرضُ تنبتُ الخيراتِ، النَّحلُ لا يخافُ الدَّبابيرِ المتوحِّشةِ والعصافيرُ
تغني مع لحنِ السَّلامِ.

يبدو كمن تذكَّرَ شيئاً، يتحرَّكُ وهو يبحثُ بنظره إلى الأعلى
موجَّهاً عدَّةَ أسئلةٍ للجمهورِ:

ماذا عن عصافيري والحمام؟ هل وجدوا مَتَسَعًا في السَّمَاءِ؟ هل رأهم أحدكم؟ هل ماتزال لهم قوّة وأجنحة يمكنُها أن تقلّهم إلى حديقة خضراء ولو حديقة صغيرة؟ هذا طعامهم لكن كيف يمكنني أن أصل إلى السَّطْحِ؟

يتحرّك كَمَنْ يبحثُ عن مخرجٍ، بعدَ عدّة محاولاتٍ يتوقّف، يتسَمَّرُ في مكانِهِ.

هنا تتدحرجُ صخرةٌ كبيرةٌ أخرى من يمينِ المسرحِ، يظُلُّ مُشاهدًا لبعضِ الوقتِ، يضعُ الرّاديو قرب جذع الشَّجرة ثمَّ يتّجه نحو الصَّخرة، يأخذها بصعوبة ويضعها فوق الأحجارِ التي بدأت تتشكّل كعمودٍ، يأخذُ أنفاسًا.

هنا يسمعُ مؤثّراتٍ صوتيّةً مختلفةً الرّيحِ، المطرِ يكونُ صوتُ المطرِ كالمحفزِ والمنشِطِ جسديًا، تهطل بقعة كبيرة من الضوء الأزرق، تنشط ذاكرته وتتفاعل مع المؤثّر الصّوتي للمطرِ.

حيثُ يرقصُ، يأخذُ دلوًّا ويتحرَّكُ ليتلقَّفُ قطراتِ المطرِ، يحاولُ
يجعلنا نشعرُ ونتفاعلُ معِ شعورهِ الفرحِ، بحيثُ يتعاملُ معِ الطقسِ
كأنه مطرًا حقيقيًّا يهطلُ وليسَ مجردَ مؤثِّرًا صوتيًّا .

يرددُ وهو ممسكٌ بالدلوِّ، يتحرَّكُ بحريَّةٍ ويمزجُ حركتهِ بالرقصِ
خلالَ هذيانهِ:.

مطر، مطر، مطر، مطر
بينما أنا وأنتِ نسرُحُ إلى موقفِ الحافلةِ
كانتِ السُّحبُ تلهو في الاعلى
ضحكتِ الشَّمسُ هذا الصَّبَّاحِ
ظهرَ صدرها مغريًّا
تلاشت كل قطرات الندى
نسمعُ صوت المآذنِ وضجيجِ الأسواقِ
يدٌ بيدٍ لنكتمَلَ طريقنا إلى أقربِ سوقِ
فجأةً .. تركضُ الرِّيحُ نحونا
تدفعُ أحلامنا الصَّغيرةِ
تعصرُها ثمَّ تقذفُ بها بعيداً
قبلَ الغروبِ

تدحرجُ عاصفةٌ جديدةٌ من رحمِ السَّماءِ
ينسكبُ الضَّوءُ معَ ألوانٍ، ..
أقولُ النَّهارَ يلتهمها، ومعطفُ اللَّيلِ الرَّماديِّ
تحتلُّ الظُّلْمَةُ نصفَ العالمِ
أخافُ رعدَ ليلَةٍ غاضبةٍ
تنبُتُ أوَّلُ صورةٍ من قصيدةٍ بلا قافيةٍ
تتمرَّدُ على المعنى
رَغَمَ ذلكَ تفضحني
أرتعدُ

هنا تتغيَّرُ ملامحُ وجهه، يبدو كمن نسي النَّصَّ أو فقدَ ذاكرتهُ
لبرهةٍ من الزَّمنِ.

يتحدثُ ويحكى فكاهاتٍ شعبيةٍ قصيرةٍ جدًّا تسخرُ من الحربِ
بلهجاتٍ يمنيةٍ متعددة.

يعودُ إلى مكانِ الجذعِ، يحركُ الطاولةَ هنا وهناكِ باذلاً جهداً
كبيراً، بحيثُ لا يقعُ الجذعُ، يختارُ طاولةً مستطيلةً تتحوَّلُ في
يدهِ شبيهةً بسريرِ اسعافٍ، يضعُ فوقها الجذعَ.

يتوقّف، يلامسُ الجذعَ ويحنو عليه، يضعُ المبخرةَ جانبًا، هنا تأتي صخرةٌ أخرى من يسارِ المسرح، تندرجُ، يتّجه إليها، يأخذها، يضعها فوق الصُّخور المترابطة، يتأملها، يجلس وسط المسرح، يأخذُ نفسًا عميقًا وكأنّها إستراحة محارب فيها صمت.

يعودُ ينهض ويتجه للبحث عن جهازِ الرّاديو، يمسكُ به، يحاول تشغيله، لكنه يفشل في البداية، يستمر بالمحاولة مرّةً تلو مرّةً،، يترجى جهازِ الرّاديو، يوشوش لها بكلمات غير مسموعة إلى أن ينجح بسماع أشبه بوشوشةٍ متقطّعةٍ تبدأ ضعيفة ثم تعلق أكثر وأكثر.

ثمّ يسمعُ مقطعاً من أغنية نشوان للفنان محمد مرشد ناجي. تكون الأغنية كأنها رسالة ذات محتوى روحي، يتفاعل معها رقصًا وترديدًا لاسم نشوان، يراقصُ جذعَ الشجرة ليحرّز العلاقة أكثر وخلق لوحات مبهرة، يقومُ بترتيب بعض الفوضى الموجودة بالمسرح، مع نهاية الأغنية يعودُ قرب الجذع والعمود والدائرة الغربية المرسومة على أرضية المسرح، تعطي الإضاءةُ قوّةً خاصّةً لهذا المكان المهمّ من الخشبة

يعود ليهدّي .:

يُحْيِلُ لِي أَنَّ السَّمَاءَ سَقْفٌ مِنَ الصَّفِيحِ الْقَدِيمِ

مَاذَا لَوْ تَنَاثَرَتْ بِلِكْمَةٍ مِنَ الرِّيحِ

مَاذَا يَوْجَدُ فَوْقَهَا؟

هَلْ يَعْلَمُ الْمَوْتُ أَنَّ الْحَرْبَ أَكَلَتْ أَرْوَاحَنَا؟

مَنْ سِيرَ مُمْ كُلَّ هَذَا الْوَجَعِ؟

قَبْلَهُ مِنْكَ تَبَعْتُ فِي الْقَلْبِ الْمَسْرَاتِ

ثُمَّ عَنَاقَاتُ فِي بَحُورٍ مِنَ الْبُخُورِ الْيَمَانِيَّةِ

الْحَرْبُ لَمْ تَنْتَه

يَتَقَنُ الْمَوْتُ لَعِبَتَهُ الْقَاسِيَةَ

يَبْدُلُ أَفْعَعْتَهُ وَيَتْرُكُ مَعْطَفَهُ الشَّتْوِيَّ عَلَى الْمَشْجَبِ

إِنَّهَا الْفَوْضَى هُنَا

تَحْتَلُّ قَنَانِي النَّبِيدِ جِزْءاً مِنَ الْمَكَانِ

يَصْعَبُ أَنْ أَجِدَ نَهَايَةَ لِقَصِيدَةٍ

يَجْبُ الضَّبَابُ الْكَثِيرَ مِنْ ذَكَرِيَاتِ الْعَشِقِ

هِنَالِكَ

تَنْمُو الْيْرِقَاتُ وَيَتَكَاثِرُ الدُّوْدُ فِي بَطُونِ الْمَوْتَى.

يَتَحَرَّكُ فِي حَرَكَاتٍ عَشْوَائِيَّةٍ بِالطَّائِلَةِ، عَلَيْهَا الْجَذْعُ، وَقَرَبَ الدَّائِرَةِ

الْغَرِيْبَةِ يَسْقُطُ الْجَذْعُ، يَتَوَقَّفُ مَذْهُولًا.

تَخْرُجُ مِنْهُ آهَاتٌ ثُمَّ صَرْخَةٌ، يَنْجَذِبُ إِلَى الدَّائِرَةِ، يَحَاوِلُ الصُّمُودَ،

يَصَارِعُ مَحَاوِلًا عَدَمَ الْإِنْجَارِ لِهَذِهِ الدَّائِرَةِ، بَعْدَ صِرَاعٍ مَرِيْرٍ، يَقَعُ

فِي الدَّائِرَةِ، يَتَجَمَّدُ وَسَطَهَا.

يَخْفُتُ الضَّوْءُ بِالتَّدْرِيجِ

ثُمَّ ظِلَامٌ تَامٌ

المشهد الأخير

خلال الظلام التام نسمع صوت طفل يبكي، ثم أصوات عدّة لعدّة أطفال، ثم صوت طرقات مطرقة، يمتزج الصّوتان، ثمّ نباح كلاب، تمتزج كلّ الأصوات مع بعضها بشكلٍ يمكننا تميّزها ثمّ نسمعها بشكلٍ فوضوي ويغلب أخيراً نباح الكلاب ثمّ صوت تغريد الحمام.

يظهر الضّوء في بقاعٍ مختلفةٍ من الخشبة ولا يظهر الشّخص، يكون الضّوء في شكلٍ بُقِعٍ بعدّة ألوانٍ مختلفةٍ، ثمّ تسود المسرح إضاءةٌ تجعلُ الرّؤية أكثرَ وضوحًا.

يظهر داخل الدّائرة، لكن قيداً من الحبال يقيّد قدميه، ينهض بصعوبةٍ، يخوض صراعاتٍ متعددة ثمّ يستطيع الإفلات من الدّائرة إلى جهة العمود والذي يبدو أكثر وضوحًا، يشعر بالراحة، يأخذ عدّة أنفاسٍ، يتلمس قدميه ليتأكد من فك القيود.

نسمع آهاتٍ ألمٍ ثمّ ضحكاً

ثمَّ خفوتاً للضوءِ مرّةً أخرى.

تظللُ الخشبةُ شبهَ معتمةٍ لبعضِ الوقتِ، نسمعُ سقوطَ أشياءٍ في عمقِ المسرحِ معَ عودةِ الضَّوءِ والذي لا يكونُ كافياً لرؤيةٍ واضحةٍ، يتحرَّكُ الشَّخصُ بحذرٍ، تجذُّ مصباحًا يدويًّا، ينجحُ في اشعالِهِ بعدَ عدَّةِ محاولاتٍ، يستخدمُهُ في إنتاجِ ضوءٍ، تكونُ الحركةُ مضطربةً كأنَّنا معَ دخلاءٍ يتربَّصونَ به وبالمكانِ، حالةٌ من الدهولِ والخوفِ، يتجهُ وجههُ نظره على المكانِ حيثُ تبعثرتُ بعضُ الكتبِ، من جهةِ اليمينِ المظلمِ يتدحرجُ برميلٌ بلاستيكيٌّ إلى وسطِ المسرحِ، حيثُ الفوضى تعصفُ بالمكانِ.

خلالِ حركتهِ يعثرُ على مصباحٍ يدويٍّ ثانٍ، يلتقطه، يحاولُ اشعاله، يفلحُ في اشعالِهِ بسرعةٍ، وهنا يستخدمُ ضوءِ المصباحينِ كسلاحٍ للدفاعِ عَنِ النَّفسِ، الحركةُ حذرةٌ، متوتِّرةٌ وقلقةٌ لكنها شجاعةٌ.

يصرخُ بصوتٍ يبدو قلقلًا ممزوجًا بالخوفِ ثمَّ يتغلَّبُ على خوفه وتقوى عناصرِ التحدي في ركاته وتعاييرِ الوجه.

مَنْ هناك، ماذا تريدون أكثر من هذا؟ سنواتٌ من الظلمةِ
والحريقِ والالمِ، ماتزالونَ تترَبِّصونَ وتُعيدونَ بنا الضَّجيجَ
والفوضى، لبستم كلَّ الاقنعة، مثلتم كلَّ الأدوارِ، فعلتم بتوحُّشٍ
ما لم يفعله أي عدوٍّ أو غازٍ..

يتحرَّكُ الشَّخص مع ضوءَ المصباحينِ في ظلِّ حالةٍ من التَّلاعبِ
بالضَّوءِ الَّذي يعصفُ بالمكانِ.
نسمعُ صوتَ عواصفٍ وعدَّةٍ مؤثراتٍ طبيعيةٍ.
ثمَّ صمتٌ كاملٌ

يستقرُّ الضَّوءُ، نوعًا ما نرى الشَّخص يضعُ أحدَ المصابيحِ
ويحتفظُ بالثَّاني رَغمَ وضوحِ الرُّؤية، يتَّجهُ نحوَ البرميلِ، يصلُ إليه،
يركُلهُ ويتحرَّكُ معه، يتركُه، كَمَن يبحثُ عن شيءٍ، يجدُ عدَّةَ
شموعٍ، يأخذُها، يسيرُ نحوَ الجذعِ الموجودِ على الأرضيَّةِ، يقيمهُ،

يشعل عدّة شموعٍ ويضعُها فوقه، تهطلُ هالةٌ ضوءٍ ناعمٍ لترسم
لوحةً بديعةً.

يسمع الشَّخصيَّةُ النسائيةُ تغني مقطعاً من أغنيةٍ يمنيَّةٍ تتغنى في
الأرضِ وفيها الشوق والحنين.

يتفاعلُ خلالَ سماعه الغناءِ وفي حركاتٍ جسديَّةٍ أكثر بساطة
بحيث لا يشئت إنتباهنا وكأنه يرسم في ذهنه صورة للشخصية
الأنثوية، يقومُ بترتيبِ المكانِ.

معَ نهايةِ الأغنيةِ يكونُ المكانُ أقلَّ فوضى.
يعودُ ليتأمَّلِ المكانِ وكأنه يريدُ أن يستكشفهُ أكثر، يركضُ في
جوانبهِ يصلُ إلى مقدّمة المسرحِ،

يعودُ للحديثِ :.

كاسراً الجدارَ الرَّابِعَ، موجِّهاً كلاماً للجمهورِ ويكون متفاعلاً
معهم.

تسألوني من أنت؟ ما حكايتك؟ ما هذا المكان؟ ماذا تريد أن
تقول؟

الآن لا أتذكر أشياء كثيرة، ربّما فقدتُ الذاكرة، أحاول أن
أتذكر، سأبدلُ جهدي كي أتذكر، ربّما شاهدتم وجهي في صورِ
المفقودين! ربّما ضاعت بطاقتي المديّنة.

خلال هذه اللحظات يفّش جيوبه
لا يعثرُ على شيءٍ

يصمّتُ للحظاتٍ

تسودُ العتمةُ عمقَ وجوانبِ الخشبةِ

يعودُ للكلامِ

أتذكرُ كنتُ تلميذاً، نعم أتذكرُ الآن نصّاً وحكايةً

تريدون أن تسمعونها
يا عم يا عثمان يا بايع الرّمان
زمانك الوردى، أحلى من التمر

يردها عدّة مرّات بتلويناتٍ طفوليّةٍ
تتوقّف عن التّغّي بالنّصّ
صمتٌ للحظاتٍ ثمّ الكلامُ بجديّةٍ

نعم .. لا يهمُّ، المهمُّ أيّ كنتُ طفلاً، أقفُ في طاوور الصّباحِ
وأحيي العلم.

المهمُّ أن يأكلَ أطفالنا رماناً وردياً وتّفاحاً وعنباً، أن تشربَ
أمّهاتنا وجدّاتنا قهوةَ القشرِ مع حوايجِ القهوةِ والعيشش البلديّ.

أن نذهبَ إلى الحقولِ والشّواطئِ بسلامٍ
أن لا يكونَ أي شيءٍ ملوّثاً بالفوسفورِ ولا نخافُ من انفجارِ
عبوةٍ ونحنُ نركضُ، أن يكونَ وطننا خالياً من الخوفِ والجوعِ وأن
ننامَ ونحلمَ بحريّةٍ

أن نعشقَ ونغّيَ ونرقصَ ونصليّ

دعونا نحلّم بأننا بشرٌ
أنتم أجيبيوني، لماذا تحدثُ الفوضى هنا؟

ارحلوا

أتذكّر الآن بعضَ الأشياءِ

يتهلّل وجهُهُ فرحاً، يرقصُ.

كانَ لي أصدقاءً، كانتَ لي عشيقَةٌ، أمٌّ وإخوةٌ وأخواتٌ ووطنٌ.

قريتي الرّيفيّة، ناسها الطّيبين، حقولها وأشجارها، مراعيها

وساحلها والجبلُ يطلُّ من بعيدٍ ويكونُ جميلاً بلباسِهِ وسحرِهِ

بعدَ المطرِ

الأصدقاءُ أينَ ذهبوا؟

يفتّشُ مرّةً أخرى جوانبَ المسرحِ باحثاً عن الأصدقاءِ

خلالَ البحثِ يعثرُ على عدّةِ لوحاتٍ ودفاترِ

يكونُ فرحاً

تتصاعدُ موسيقى تترجمُ الحالةَ المشهديّةَ

يعثرُ على عدَّةِ حواملٍ للوحاتِ التَّشكيليَّةِ وتستمرُّ في ترتيبِ
عرضِ تشكيليٍّ ممتعٍ.

تعودُ للحديثِ .:

تذكَّرتُ كُنَّا نكتبُ ونرسمُ، نعطي ونحلِّمُ، نعم كُنَّا نحلمُ بالألوانِ
والرَّبيعِ، بالشَّمسِ تخرُجُ عاريَّةً، تلوِّحُ للريحِ، يرقصُ الموجُ، يعيَّ
جبلِ نغمٍ ويركضُ لمصافحةِ جبلِ عيبانٍ، تخلعُ أشجارُ دمِ
الآخرينِ قطراتِ الندى تتفاخِرُ بألوانِها وفساتينِها. القصيرةُ
والنَّخلُ باسقاتٍ ينتظرنَ مريمَ وساعةَ المخاضِ والسَّواطىءُ
تنتظرنَ. يونسُ وقد فرشتَ سقيفةً من ورقِ شجرِ اليقطينِ.
أتذكَّرُ كانت ناقةُ الله الَّتِي وهبها لصالحٍ، تأكلُ الدُّرَّةَ وتشربُ من
كلِّ الوديانِ.

كان حمارُ عزيزٍ هنا يحملُ حزمةً من حطبٍ لأهلِ الكهفِ
ليفيقوا من سباتهم العميقِ وكانَ وجهُ يوسفَ مرسومًا على واجهةِ
المدنِ وسفينةِ نوحٍ ماتزالُ هناكَ على قمَّةِ جبلٍ شاهقٍ.

تذَكَّرْتُ الْآنَ أَيُّ كُنْتُ أبحثُ عن أحلامي الخجولة وتكتبُ
لعشيقتي. طالَ غيابُها .. الأصدقاءُ أين ذهبتم؟
الأرض والحكاياتُ ودعاءُ الجداتِ وسقفُ السماءِ؟

...

لا أرى أحداً هنا، أشعرُ بالعطشِ
تردِّدها عدةَ مرَّاتٍ

يركضُ بشكلٍ غيرٍ محددٍ، يجدُ زجاجةً ويسكي، يأخذُها،
يرتشفُ الجرعةَ الأولى، نرى ردَّةَ فعلٍ لذعةِ الخمرِ، يستمرُّ
بالشربِ، يظهرُ تأثيرُ الخمرة، يتحرَّكُ بشكلٍ غيرٍ متوازن، تتنوَّعُ
ردَّةُ الفعلِ معَ هذيانٍ وبعضِ النَّكِّتِ القصيرةِ جدًّا ولا يكملها
إلى النهاية، يحكيها للجُمهورِ.

يكادُ يفقدُ توازنَه بقربِ الدَّائرة، لكنَّه لا تقعُ، كون الفعلِ
يكومنتوِّعًا، يبدو أكثرَ خفةً رغم حركته وكأن القيد لا يزال
بقدميه، يرمي بالزَّجاجةِ، تندحرجُ حجرة من الكواليسِ، تتَّجه

نحوه، يأخذها ويضعها على العمود ليتّم، والذي يكاد أن
يكتمل.

يخفّت الضوء للحظات

يعودُ ليستخدَم المصباح اليدويّ على وجهه وهو مايزالُ في حالة
نشوة.

خفوت للضوء للحظات ينقلنا لحالة أخرى

تظهرُ الشّخص يتحرّك قليلاً يقوم بتحريك برميل بلاستيكي
يوجد وسط المسرح، ثمّ يعودُ إلى حالته الأولى حيث الشّعور
بالبرد، يحرك البرميل مرّة أخرى كأنّه لعبة، أحياناً يكون تحريك
البرميل سهلاً وأحياناً يكون شديد الصعوبة، يزدادُ الشّعور بالبرد
رغم الحركة وتعامله مع البرميل وكأنّه يبحثُ له عن موضع
ومكان مناسب، تتحوّل البرميل لدلالات متعدّدة ومع وصوله
لوسط الخشبة، يعجز الشّخص عن تحريكه.

يزداد الشعور بالبرد يلتقطُ البطانيةَ يحاول أن يلتحف بها، لكنَّ
قدميها المقيدةَ بجبل وهمي تجعل حركتها صعبة.
يحاول التخلُّص من الجبل الوهمي، لكنّه تعجز، يسقطُ، يحاول
الوقوف، يستطيعُ الوقوفَ بصعوبةٍ والمشى قليلاً ويتَّجه إلى طاولةٍ
عليها دفاتر وكتب عديدة، يمسكُ بها يقلِّبها، ثمَّ فرح يبدو على
وجهه.

يعود للهديان مخاطبة الجمهور ومتخيِّلة الحبيبة .:

لا تهمون بالحكاية، الحكاية وحدها لا تخلق المعنى، لكلِّ منّا
حكاية وأسرار ولكلِّ منّا ألم وفراق ولكلِّ منّا أغنية يعشقها
ورقصة يجيدها وحبّال تقيده.

تفحصوا أقدامكم وأيديكم، ربّما تشعرون بالقيود الآن أو غداً.
أنتِ أيضاً فضلتِ البعد والهجر، أتذكّر الآن أنّي كنتُ عاشقاً
أتذكّر أنّي كنتُ شاعراً

...

يضحك

نسمعُ تغريدَ الحمامِ وعدّةَ مؤثّراتٍ طبيعيّةٍ للريحِ والمطرِ
يتعايشُ معَ المؤثّراتِ، تتّجهُ للبحثِ عن السّطلِ، يجده، يأخذه،
يجمعُ بعضُ العيدانِ يجدها بعمقِ المسرحِ، يضعها بالسّطلِ،
يتقدّمُ لمقدّمةِ الخشبةِ، يشعلُ العيدانِ، تشعرُ بالدّفءِ
يعودُ للهديانِ..

لا يُكتبُ في خانةِ المهنِ أن تكونَ عاشقًا، شاعرًا أو كاتبًا أو
حالمًا

كنتَ طفلًا، هذا كل ما يهمني
لا أريدُ إلّا القليل من الحلمِ
أنتم أيضاً بحاجة إلى بعضِ الأحلامِ
بعضِ الدّفءِ
أن تكونَ عسافيري وحمّاماتي بخير
ربّما هي بحاجة لبعضِ الدّفءِ

يتحرّك يقلّب في الدفاتر باهتمامٍ، ويظهرُ الفرح عليها، يأخذ
أحد الدفاتر ويبدأ بالقراءة بصوتٍ متنوّعٍ ومع قراءته للنصّ يكونُ
أكثر قرباً للجمهورِ بحركةٍ متحرّرةً، تكسرُ الجدار الرابع ويتحرّك
خارج الخشبة موزّعاً منشورات وقصاصات النصوص.
تعودُ للهديان:.

كنا نكتب وسنظلُّ نكتب ونحلم
رغم ثقل القيود إلا أنّ الشّخصيّة تبدو أكثر صموداً وثقة في
نفسها وتبدأ بقراءة قصيدة وخلال القراءة تنتقل وتتفاعل مع
الكلمات الشّخصيّة

في أوّل صباح من عام جديد
تختفي الشّمس الكسولة
وحدهم الأطفال يستيقظون باكراً
يحلّمون بيوم مفرح
يغنون للبحر البعيد
ينهض الطّفّل المجنون في داخلي

يرسم وجهك مع دخان أول سيجارة
ينتج الشخص من الأدوات الموجودة مؤثرات صوتية عديدة مع
عودته على الخشبة، بحيث يكون النص حياً وجزءاً من الفعل
المسرحي، يعود إلى نوع من الدهول كأن أسئلة في رأسه يعجز
عن التعبير عنها والنطق بها وخاصة سؤال لماذا كانت الحرب؟
إلى متى ستظل؟
ثم يتسم ويهتف بصوت خافت كلمة الحبيبة، ثم يصمت.
يعود للحديث:.

أسمع صوتك مع أول رشفة من قهوتي
مقياس السكر بحدود واحد
لكي لن أضيف السكر إليها
لمرارة القهوة مذاقاً فريداً
كذلك الشاي والكعك
لا أحتمل فقط مرارة الفراق الطويلة
تمنيت أن تنتهي الحرب

أن يحمل الموت كل أدواته العنيفة
لا بأس أن نموت ونحن نبتسم
موجع هو الموت عندنا لا يكون صديقاً
متعب هو الأمل
لست ضد الموت
لم أكرهه يوماً
لا أخافه أبداً
ما أخافه هو الوجع
ما أخشاه ألا يحمل الموت أدواته الرحيمة
قلت له كن صديقي
سأكتب فيك شعراً
الكثير من المديح
فقط أن تحمل قناعاً ملوناً
أجنحة بيضاء
أن تكون ملاكاً رحيماً
اجعل وجهي أنيقاً ومشرقاً

كعريسٍ يُزَفُّ إلى محبوبته
كعاشقٍ وشاعرٍ

معَ نهايةِ النَّصِّ يخفُّ الضَّوُّ، نسمعُ ضجيجاً وموثراتٍ صوتيةً
عديدةً للريحِ ثمَّ المطرِ.

يتحوَّلُ صوتُ المطرِ لعاملٍ ايجابي، يعطي الشَّخصَ قوَّةً أكثر،
ولا يصبح القيد الوهمي عائناً، تندرج صخرة من يسار المسرح،
يكون منتبهاً ويتعاملُ معها بأخذها ووضعها لتشكيل العمود،
ثمَّ يتحرَّك حيث يرتَّب بعض الفوضى ويكون بكواليس المسرح
عدَّة لوحات وقوائم للعرض، يجلبها، يياشر بعمل معرض
تشكيلي من هذه اللوحات.

يتَّجه نحو البرميل تركله بعنفٍ رغم القيود.

يدحرجه إلى جهة اليسار ثمَّ يختفيه.

يجد مكنسة، يأخذها، يكتسُّ التُّراب، يجمعه، يركض هنا
وهناك، يجد كأس نبيذ، فنجان قهوة، وكأس ماء، يأخذها ويجمع

التُّراب فيها، يستخرج من جيبه بعض الحبوب وهنا ندرك أنَّه يحاول زراعة هذه الحبوب، يستقرُّ قرب العمود ليضع الحبوب، ينهض مسرعة للبحث عن الماء، يجد قنينة صغيرة، يعود للقرب من العمود، نراه متفاعلاً وسعيداً بزراعة بعض الحبوب، ورشَّ بعض الماء، يتأمل فعله، نرى نوعاً من الفرح الطفولي يتمظهر بتعبيرات الوجه وبعض الدنانات.

يعود إلى مكان الدفاتر يقلِّب فيها ثمَّ يتَّجه نحو الجذع الموجود على طاولةٍ مستطيّلةٍ، هنا تتدحرجُ صخرةٌ، تأتي من عمق المسرح، يسرع الشَّخصيَّة للتعامل معها بشجاعة، يأخذها ليكتمل شكل العمود، لكي يكون العمود أكثر صلابة وقوَّة، يتحرَّك بشكل ديناميكي، يجد سطلاً كُنَّا شاهدناه لجمع حبَّات المطر، يتحرَّك لعمق المسرح، يبدو أنَّه وجد تراباً وماءً، يتحرَّك إلى مقدِّمة الخشبيَّة ويدندن بفرح، يقوم بعجن التُّراب والماء ليصنع طيناً، نرى حركة عجن الطين، يتحرَّك نحو العمود، يياشُرُ بتثبيت الحجر بالطين، نكونُ أمام لوحةٍ بديعةٍ يخلقها فعل

الشخص البطل، يكتمل العمود، يتحرّك، يعثر على ألوان
بهيجة، يقوم بتلوين العمود.

يحرّك الطاولة إلى أمام مقدّمة الخشبة. يشعر بالرّاحة والفرح.
يعود للبحث عن أشياءٍ أخرى، يجد أوراقًا ملوّنةً وأشرطةً ودبّاسة
ورق.

يحملُ الأشياء إلى حيثُ الجذع وينشغل في العناية بالجذع وتلوينه
ولصق أوراق وأشرطةٍ ثمَّ يحمله بعناية وكأنّنا مع شجرةٍ وارفّةٍ
الأغصانِ.

يعود إلى الدفاتر، يحملُ دفترًا منها، يبدأ في القراءة وتصاحب
القراءة حركة حرّة تفاعليّة بترتيب الفوضى وجعل الأشياء أكثر
ترتيبًا.

خلال ترتيب الأشياء نرى أنّ البطل يصطحب جذع الشجرة
كأنّه يتشارك معه في الفعل والإلقاء، يكون للجذع حضورًا
مهمًا.

يعودُ للحديث :.

في اليوم الثاني من العام الجديد
لم يظهر فخذ الشمس كاملاً
فقد أخفت كل مفاتها
الحانات وأماكن بيع المشروبات الرُّوحية ماتزال مغلقةً
اضطرت لشراء زجاجة نبيذٍ جديدٍ مذاقه رديءٌ جداً
ولذعته قويَّةٌ وتأثيره سريعٌ
يترنُّص بي الضَّبَاب
يتسلَّق نافذتي
أمضي ساعاتٍ لمسح فيديوهات التهنئة الأتوماتيكية
وكذلك الصور التَّقيلة
أردُّ فقط على الرِّسائل التي أشعر بصدقها
وتزداد شراحتي للتدخين
أبعثُ بالدخان لخلق سموات جديدة
بعض الصَّدِيقَات الافتراضياتِ طلبن المال والهدايا
فاعتذرت منهنَّ وألغيتُ صداقتهنَّ

لقد مضت سنوات من الفراق والبعد
لست متأكدًا إن كنتُ قد لبست قَبَّعة بابا نويل
أفتقد ليالينا الفردوسية
وذلك العبث المتهوّر
كنّا خارج الزّمان والمكان
كنّا في عمق غياهب اللّذة
أفتقد طقوسك الوثنية والرّوحية قبل ممارسة الحبّ
فتأثيراتها ساحرة، أعظم من الفياجرا
ليس من العدل أن تُمحي كل الذّكريات من قلبك
ليس من العدل أن أظلّ عاشقًا متيمًا
بل العدل أن نتقاسم الألم كما تقاسمنا اللّذة
والعدل أن تتوزّع أحلام اللّقاء بيننا
أكون في خاطرك
أو لا تكونين في فكري
قسوة الحرب هناك تتعني
أكتب عن الحرب وعنك

وأتألم لموتِ أصدقاء
وأنساك
كم أكره الحرب وألعنها
إنني أشكر القدر الذي يجعلني أنساك
وأعتبُ على الموتِ
إذ بعنفته غير المبرر
نسي أن يكون ملائكاً
خذنا برفقٍ
أظنُّك تحفظ صلوات قبض الرُّوحِ
وتحفظُ التراتيل
كُنْ رقيقاً وصادقاً
فالسَّماءُ لم تعدْ مصدر البهجة
إنَّها تقذف الحمم والقنابل القذرة
وتسمح لأدوات البشاعة في التَّحليق بحريَّة
ولم تصعق ولو بالمصادفة مدمرةً قاسيةً
ولم تشفق على الأطفال الذين يؤمنون بها

ولا على الجدّات اللّواتي يكثرن من التّهاليل ومن الاستغفار
ويعرفن وجه الله
لكن يبدو أنّه لا يتذكّرهنّ
أو بسبب الضّحيج لم تصل كلّ هذه الصّلوات
أو لأسباب نعجز عن فهمها
سيكون هذا العام مختلفاً
ربّما نستطيع فهم ما يحدث
وربّما نلتقي
وقد لا نلتقي
ويصبح حلم اللّقاء لإلى العام القادم
إنّ السّماء بحاجةٍ إلى إنقاذٍ وليس الأرض فقط
على ملك الموت أن يوقّع وثيقةَ رحمةٍ لمن تسحقهم الحرب
وعليه أن يلتزم بمهنته كملاك
أنا بحاجة لطبيب نفسي
ولرحلة علاجية طويلة
ووخر بالإبر الصّينيّة

لا أجيد التّزجُّ على التّلاج ولا على الأمواج الغاضبة
لكيّ أهوى الرّسم بهم
وبالفحم والقطران أيضاً
إنّ جمال اللّوحة ليس في بياضها وزرقتها فقط
فللسوادِ جمالُهُ
وللحمرة دهشتُها
إنيّ أبحثُ عن الأشياءِ الجيدةِ بداخلي
كلاعبِ كاراتيةٍ يجب أن أكونَ متزنًا في عامٍ قد لا يحمل الكثير
من المسرّات.

مع نهاية النّصِّ لحظة جمود، يحاول تمزيق قيوده الوهمية، بعد
محاولاتٍ فاشلةٍ يظلُّ يشعر بالقيودُ لكنّه يهتف :
تبدو القيود مرتخيةً وبوسعي التّحرُّك أكثر.
نسمعُ صوتَ رعدٍ مع مؤثّراتِ ضوءٍ تُشبهُ البرقَ
بفرحٍ تضحك، يبدو أكثر سعادةً رغم القيود الخفية التي تجعل
ركته مرهقة.

يؤدِّي رقصةً، يتعاملُ مع عدَّةِ أدواتٍ كالجدعِ والسَّطَلِ والعديدِ
من المفرداتِ الموجودةِ.
يعودُ للكلامِ ::

ستمطر، نعم هذا ما ننتظره، أن تعودَ السَّماءُ كما كانت تستقبلُ
الأرواحَ بفرحٍ وترسلُ المطرَ
أجذف أجذف القاربَ
ليساعدي أحدكم على خفضِ الأشرعةِ
البحرُ عميقٌ جدًّا
بيتنا يوجدُ هناك هناك على الشَّاطِئِ
أنا من صيرة، من شبام حضرموت
بيتنا قرب شاطئِ بجزيرةِ سوقطرة
قرب ميناءِ المخاء
تنتظرني زوجتي بابتسامة
شفيتها تهلّل الحمدلله على سلامتك، ابتسم أنا أيضاً، أسرعُ
ليبع السَّمكِ وأعود لحضنك حبيبتي

حبیبتی یحُقُّ لنا أن نرقصَ ونتبادل القبلات ونشیر سلاماً یا جبل
نقم ووعبان

یستمُرُ فی الرِّقصِ متخیلاً الرِّقصَ معَ الحبیبةِ، هنا تهطلُ من
الأعلى عشرات البالونات الملونة. تزداد سعادة الشَّخصیة فی
لحظةِ حلمٍ خرافیةٍ.

تشرقُ إضاءةٌ أكثر وضوحاً كأنَّها تلبي كل ما تمنَّته هذا الشخص،
یعود إلى عمقِ المسرحِ سریعًا ثمَّ ی تقدِّمُ إلى مقدِّمةِ المسرحِ بیده
حمامة جميلة، وبيده الأخرى عدَّة مصابيح يدویة، یسارع بالهبوطِ
كاسراً الجدارَ الرابعَ یوزِّعُ هذه المصابيح على الجمهور، طالباً
منهم إشعالها وتوجيه الضَّوء على خشبة المسرح، هنا تهطلُ بقعةٌ
ضوء زرقاء فی مقدِّمة المسرح. كأنَّنا مع مكانٍ وفضاءٍ جدیدٍ.
یعودُ الشَّخصُ إلى الخشبةِ متَّجهاً للعمقِ، یعودُ بسلمٍ معراجٍ
صغیرٍ، یی تقدِّمُ لمقدِّمةِ الخشبةِ بیده حمامة جميلة، یكونُ فرحاً
كأنه تحرر ولم یعد للقیدِ أيُّ أثرٍ فی إعاقته، یتعایشُ للحظاتٍ،
یمسحُ وتداعبُ أجنحةَ الحمامةِ الَّتِی منحتَه قوَّة وإشراقه الوجهِ

والرُّوح، كأنَّ كلمات الفرحِ أكثرِ صعوبةٍ من عباراتِ الخوفِ،
والحزنِ، كأنَّ هذه الشَّخصيَّة تعانقُ السَّماءَ أو تقفُ على هرمةٍ
موجةٍ زرقاءٍ.

صوتُ تغريدِ الحمامِ

لا أدري كم زمن مكثت في الأسفل، هأنا الآن فوق السَّطح،
أعانق السَّماء وأركب أحصنة الموج.
يمكنهم الآن قتلي وجهاً لوجهٍ وليس غدراً.

...

نشوان .. نشوان أنتَ فينا. خذ يدي وأيدي الرِّيح وأجنحةِ
الحمامِ والعصافيرِ، لنبي الوطن. مرَّت سبعُ سنواتٍ عجافاً، لكن
قمم الجبالِ ماتزالُ تورقُ الخضرةَ وتفوحُ بروائحِ البِنِّ والرُّمَّانِ،
ماتزال السُّهولِ والوديانِ تنبت الياسمينِ والأغاني، أكاد أسمع
أهازيج البحَّارةِ وزغرودة النَّسوةِ بمولدٍ جديدٍ، بيتسُمُ للسَّماءِ، يشيرُ
بيده للملائكةِ ضاحكاً والتَّخلُ تظللُ مريمَ، تطعمُها.. نريدُ

السلام.. نَحْبُ الحِياةَ .. بجناح واحدٍ لن تطير حمامتي.. بيدٍ
وأحدة لن تصبِقَ .. بقدمٍ واحدة ستعجزُ عن الرِّقْصِ.

تقبِّلُ الشَّخصِيةَ الحمامة، تحتضنها، تطلقها لترفرفَ.

النَّهاية

يا إلهي

نص مسرحي مع تشابكات متعددة مع بعض أشعار الشاعر
اليمني الراحل الدكتور/ عبد العزيز المقالح

الشخصيات:

الشاعر: رجل في الخمسينات من عمره، يبدو مرهقًا جدًا.

المرأة: شابة في الثلاثينات.

الرجل المعتدي: في الثلاثينات أو أكثر.

المنظر:

مكان يشبه زاوية من سوق شعبي في مدينة يمنية لا تتضح
ملاحظها. قريبًا من المكان مظلة انتظار الحافلة في حالة مزرية،
وشعارات مثل "نعيش الجمهورية اليمنية" و"تحيا الوحدة"، ولكن
بعض الحروف مطموسة تمامًا. بجانبها برميل قمامة مقلوب
وأشياء تشبه عربات الباعة المتجولين متراكمة في جوانب الخشبة

وبعضها مقلوب أيضاً. على إحدى العربات قفص دجاج فيه
دجاجة وحمامة وأرنب، تبدو هذه الحيوانات مرهقة وحالتها
مزرية.

المشهد الأول

يظهر الشاعر، رجل في الخمسينات من عمره، يبدو حزينا ومرهقا، بيده دفتر صغير وقلم من النوعية الرخيصة جدا، كأنه ينتظر الحافلة ويستثمر الوقت في الكتابة. بجانبه عدد من الكتب القديمة بدون أغلفة. فجأة يسعل بقوة، ثم يأخذ قئنة مياه معدنية صغيرة، يرتشف منها رشفة بعد رشفة، ويحاول السيطرة على سعاله.

يلتفت يمينا ويسارا دون أن يجد مكانا للجلوس، يتأمل المكان مطولا ويتجول خطوات قليلة يمينا ثم شمالا. يقترب من مقدمة المسرح، حيث يجد ورقة عليها مقطع شعري، يتتسم، ثم يقرأ ما فيها بصوت عالٍ:

أيها الأصدقاء الأجلاء¹
لا تُنصتوا لدُعاة الحروبِ
وُجَّارها الآثمين،

انص الشاعر د. عبدالعزيز المقالح

أَنْصِتُوا لِاسْتِغَاثَاتِ أَطْفَالِكُمْ

لِنِدَائِ الْأَرَامِلِ وَالْأُمَّهَاتِ

فَقَدْ طَفَحَ الدَّمُ

وَاحْتَرَقَتْ سَفَنُ الْحَبِّ

فِي يَمَنِ الْحَبِّ

مَاتَ الضَّمِيرُ عَلَى أَرْضِهَا

جَفَّ نَهْرُ السَّلَامِ.

يردد الثلاثة الأبيات الأخيرة بحركة:.

فِي يَمَنِ الْحَبِّ

مَاتَ الضَّمِيرُ عَلَى أَرْضِهَا

جَفَّ نَهْرُ السَّلَامِ.

يتجول في المكان، والذي يبدو فوضوياً كأنه زاوية أو ركن من

سوق أو حيٍّ أصابه الدمار. يضع الورقة بجانب بعض الكتب

في زاوية تحت مظلة انتظار الباص.

(هنا تدخل امرأة وتسرع نحوه كأنها تبحث عنه. تصل إليه وتمسك بيده برفق وتجره.)

المرأة:

المكان ليس آمنًا، ما كان عليك الخروج... لا أحد يعرف ماذا سيحدث هنا!

(يحاول أن يُفلت من يدها وكأنه لا يوافقها.)

هو (بسخرية):

لا يوجد مكان آمن في الكون.. حدثت أشياء لم يتصوّرها العقل.. خرجت للقاء أصدقاء، وربما لاقتناء كتاب جديد أو شراء عدّة للكتابة. انظري، كلُّ أعلامي أصبحت تكتب بصعوبة.. أتعلمين أن ينفد الحبر أو لا يجد الشاعر قلمًا أو وسيلة للكتابة؟ عندها يموت، يندثر.. أتفهمين؟

(هي تبدو غير موافقة على ما يقوله، تعيد الإمساك بيده وتتقدم به خطوةً، يُفلت منها ويخطو بعيدًا عنها. تُبدي له بعض التودُّد).

المرأة:

سيدي، أرجوك، طلبوا مني رعايتك وإعطاءك بعض الأدوية، ولم يعطوني أيّ أقلامٍ ولا أدواتٍ للكتابة.. مهمّتي أن تكون بخير.

هو (مقاطعًا برفض):

كيف سأكون بخير وأنا في الظلام، بدون مكتبتني وكتبي وأصدقائي والأماكن والأسواق والناس والضحكات والأغاني؟

(يَتَّجه نحو القفص ويخطو عدة خطوات، تُسرّع هي بالركض لتقف أمامه لمنعه من لمسها. يستغرب لفعالها).

هو:

ماذا تفعلين؟ يمكننا أن ننقذ ما يمكن إنقاذه.

(هي تلتفت يمينًا وشمالًا، وترفع يديها.)

المرأة:

أرجوك يا سيدي، لا شيء مضمون هنا.. يمكنك أن تدوس على بقايا لغمٍ أو قذيفة. ربما هذه العربة مُفحَّخة.. أرجوك من أجل سلامتك وسلامتي أيضًا.

(يستغرب رد فعلها.)

هو:

ألا ترين أنكِ تُبالغين في الخوف؟ ألا ترين هذه الأرواح المحبوسة هنا؟ تبدو أجسادها نُحلت، وربما هي تحتاج ولو إلى القليل من الماء.

(تدفعه برفق، ثم تمسك يده وتُبعده عن مكان العربة التي عليها
القفص).

هي:

أرجوك، سيتمُّ أن يُوبَّخوني.. يجب أن نعود بسرعة.

(يخطو عدة خطوات إلى يسار المكان، يحدق إلى الأعلى،
وينشد بألم):

جسدي، لا تخف، ستصعدُ روحي لكي ترى كلَّ ما خبأ اللهُ
من بهجةٍ، من جداولٍ رقيقةٍ، وتعودُ إليك على غيمةٍ من غناءِ
الحمام.

لا أتحمَّلُ أبداً رؤيةَ حمامةٍ محبوسةٍ وجائعةٍ، لا أحتملُ رؤيةَ
أجنحتها مقصوصةٍ وجسدها متسخٍ، حمامةٍ لا تطير ولا تغني
وليس لها عشيقٌ يشواق إليها وتشتاق إليه.
(تقاطعها):

هي:

سيدي، كلُّ هذا الحزن من أجل حمامة؟ كلامك فيه ألغازٌ أو بلاغة.. أنا لا أتدخّل في البلاغة.. يجب أن نعود قبل أن يكتشفوا غيابك ويصفوني بالمهملة والغبيّة وصفاتٍ لا أفهمها.

(يضحك وهو يقترب منها مواسياً):

هو:

أنتِ سَجْنِي وَسَجِينَتِي.. أعلم أنّ الحياة ليست سهلةً لأيِّ شخصٍ، وخاصةً لامرأةٍ مثلك.. أظنُّ كلّ النساء خائفات، وحتى الرجال.. ألم يكن هذا الحي يعجُّ بالحياة وركضات الأطفال؟

(ينظر للبعيد ويتحرّك خطوات، ويكمل كلامه):

هو:

كانت هناك البيوت بنوافذ زجاجية ملونة، والأطفال يطلون منها، يتأملون المارة ويستمعون للغناء والمآذن وزقزقة العصافير وهديل الحمام، كأنهم يستمعون لحكايات الكون وهذيانات الشعراء.

(يتوقف، لحظات صمت وتأمل، يتسم ويتحرك وكأنه يرقص، يتوقف وينشد ويقول):

هو:

على النهر²

بجلس أمي

تخيط حكاياتها للصغار

وتحلم في كل عام

بأن يأتي الماء كي يملأ النهر.

أسأها:

²نص الشاعر د. عبدالعزيز المقالح

كيف تدعوه نهرًا ولا ماءً فيه؟
تجيب: لقد كان محتشدًا بالمياه
تفيضُ على الضفتين.
ومن مائه العذب تشرب قريتنا
وقريَّ حولنا
وقريَّ قبلنا
وقريَّ بعدنا.
بيدَ أن القرى اختلفت
وتنازع أبناؤها حول من يملك النهر،
سال دمٌ
وجرت في الضفاف دموعٌ،
بكى النهرُ
أحزنه ما جرى
فتواري، ولكنَّها - قالتِ الأم -
سوف يعود.
(يعيد ترديد المقطع):

هو:

بَكَى النُّهْرُ

أحزنه ما جرى

فتواری، ولكنَّها – قالتِ الأم –

سوف يعود.

(تعود هي وتقرب، ويبدو أنَّها مرتبكة قليلاً):

هي:

سيدي، أنت تقول الشعر وتنشده كأنك تتنفسه.. لا أفهم كلَّ

شيء.. كلُّ ما يهمني سلامتك، وألاً تتعرَّض لأي مكروه.. ليس

لدي دواؤك لو قُدِّر أن أصبتَ بأزمة.

(يضحك مماًزحاً):

هو:

هل أصبحت هَرَمًا إلى هذه الدرجة؟ أتذكّر أنّ مثل هذه الأيام
تحتفل الناس بالأعياد الوطنية، والأطفال يشترتون البيارق الصغيرة
ويشعلون شُعلاتٍ جماعيةً وينشدون الأهازيج.. ما بال كلِّ
شيءٍ صامتٍ وجافٍ، والظلمةُ بالداخل والخارج؟

(يصمت للحظات، كأنّه يتذكّر قصيدةً ويهمس بها همسًا):

هو (بصوت عميق، مناجيًا اليمن بحسرة وأمل):

يمنٌ واحدٌ..³

عشتُ أحملُهُ راحلاً ومقيماً.

على ساحةِ العين..

ماذا يقولون؟

صارَتْ مُجَزَّةَ القلبِ

³نص الشاعر د. عبد العزيز المقالح

مكسورةً الوجه،
صارَ اسمُها في المحافلِ (صنعاء) يوماً
ويوماً (عدن).
لا أصدِّقُهم!
فَهَيَ واحدةٌ،
كلِّما أثخنتُ في الترابِ السَّكاكينُ..
أدَمَى الترابُ السَّكاكينَ،
واندَمَلَ الجرحُ
واسترجعَ الجسدُ اليمنيُّ الممزَّقُ أبعادهُ،
شكَّلهُ
واستدارتهُ،
نَهَضَتْ مِنْ خرائِبهِ المقفراتِ اليمَنِ.
(يصمت، متأملاً ما حوله بحزن وأمل)

تركض حوله كالمفجوعة ويزيد ارتباكها وكأنها لا تدري ماذا
ستفعل.

تسترجيه بصوت مرتبك مع بعض التلعثم:

هي:

أرجوك، سيدي، أنا لستُ سياسيَّةً ولا أعرفُ أو أتدخلُ في السياسة... حسنًا، أعدكُ أيُّ ساستقيل من عملي وأبحثُ عن عملٍ آخر، ولكن لا تورطني ولا تدفعني لأقسو عليك... لا نعرفُ ماذا سيحدثُ إذا انتظرنا؛ ربما تأتي قذيفةٌ أو تهطلُ رصاصاتُ طائشةٌ أو ينفجرُ أيُّ لغمٍ هنا أو هناك.

(هو لا يُبالي بكلامها ويسير نحو العربة التي عليها القفص. يقترب ويمسك بالقفص. هي تركض هاربة وتلطم وجهها ورأسها وتصرخ محذرة)

هي:

يا ربي، استرك واحفظك... يا ناس، يا عالم، لينقذنا أحدكم. (تظل تصرخ وهو مستمرُّ يحاول فكَّ القفص الذي يبدو مربوطاً بشيء. يبدو أنها تأكدت من عدم وجود قبلة أو قذيفة،

فتتشجّع وتتقدم بخطواتٍ حذرة لتساعده. يتسم لردة فعلها،
ولا تزال ملامحها مدعورة)

(يستطيعان فكّ القفص ويحملانه بما فيه إلى وسط مقدمة
الخشبة. هي تسرع بجلب إحدى العربات وتحضرها إلى مكان
وقوفه، ثم تضع القفص فوقها وتحاول منعه من فتحه)

هي:

سيدي، أرجوك، ليس معنا مُعَيِّمٌ ولا وسائلُ حمايةٍ صحيَّةٌ ولا
أقنعةٌ، لنكتفي بمشاهدة هذه المخلوقاتِ المسكينةِ دون لمسها.
(يستغرب من كلامها، يدفعها برفق ويقترّب أكثر)

هو:

أنتِ لا تنسين مهمتكِ ووظيفتكِ كسجّانة؟
يجب ألا نقسو عليها أكثر، يبدو أنها عانت الكثير في سجنها.

(تقوم بتحريك العربة مبتعدة)

هي (تردد):

أرجوك، لقد طاوعتُك يا هذا الجنون، ولا يمكنني مطاوعتُك
أكثر.

(يسرع في خطواته ليكون مقابلها ويسألها)

هو:

الحرية... الحرية، أهي جنون؟

أكان درويش وسعدي يوسف ونزار قباني وأحمد عبد المعطي
حجازي وعدنان الصائغ وسليمان العيسى وغيرهم مجانين؟
أصدقائي وصديقاتي كتبوا عن الحرية والطيور المهاجرة والمطر
والفرح، والشمس تخرج عارية الصدر، وناقاة الله تركض في
المراعي...

كتبوا عن النيل يفرش الحياة والبهجة، ونهري دجلة والفرات
يصفقان للطير القادم من الجهات الأربع، وصديقي عبد العزيز
المقالح يعني لصنعاء واليمن وجزيرة العرب والكون كله... أكان
مجنوناً صديقي؟

سمعه ينشد:

لي بيتٌ في الريف⁴
حديقتهُ حقلٌ مترامي الأطراف،
وتحرسه رائحةُ الورد.
إذا ما انتصف الليل
صعدتُ إلى السطح
لكي تتقاسمَ روحي وأنا
أنغامَ نجومٍ حاملةٍ
تذرع وجهَ سماءِ الليل

⁴نص الشاعر د. عبد العزيز المقالح

وتكتب أعذب ما
يهفو القلب إليه
من الكلمات.

(يصمت للحظات، كأنه يشعر بالإرهاق، يحاول أن يجد مكاناً
يجلس فيه، يأخذ شهيقاً وزفيراً لعدة مرات، ثم يكمل)

هو:

أتذكرُ أيضاً من قصيدته بيتٌ في الريف... أمتحني لحظة.

(هي تتحرك بالعربة، وهو يستمر بالحركة ليكون مقابلها، يبدو
منهكاً، يحاول أن يجد مكاناً يجلس فيه، يأخذ شهيقاً وزفيراً لعدة
مرات، ثم يكمل)

- لي بيتٌ في الريف⁵

أنيقٌ وشفيفٌ

⁵عبدالعزيز المقالح

تغسله الشمس صباحاً
والليل مساءً
حين تحاصرني دوامة حزني
ويضيق القلب
أفر إليه
لأنفضَ عن روحي
ما أثقلها
من فيروسات المدن الشوهاء.

(يردد البيت الأخير عدة مرات: "من فيروسات المدن الشوهاء."
ثم يصمت، ويعود يسألها)

هو:

ليتكم حبسْتُموني في بيتي الريفي، كان صغيراً وأنيقاً على تلة،
وقريباً من السماء والنجوم والسحب... حرّة، ترقص وتمازح
بعضها البعض، فتضحك الملائكة، وضحكة الملائكة يحسُّها
الأطفال وكبار السن مثلي.

(تصرُّ على منعه وتجرُّ العربة بعيداً. يسعل ولا يقدر على الحركة،
كأنه أصيب بتشنُّج، وهي تظل تتعد وتبدو غاضبة دون أن
تنتبه لما حدث له.)

هي (بصوتٍ عالٍ):

سيدي، أيها الشاعر، أنتَ تجبرني أن أرفع صوتي وأغضب،
سوف أبعدُ هذه الكائنات، ربما تحملُ فيروساتٍ معديةً.

(هو لا يقدر على الحركة، يناديها)

هو:

أنتِ، يا سجانتي اللطيفة... ربما أصبتُ بتشنُّجٍ، ولن أقدر على
الركض أو الحركة.

(تظل متفرجةً للحظات كأنها غيرُ مصدقةٍ لما يحدث له، وهو يظلُّ متجمداً، ثم تأتي مسرعةً تقود العربة، تصل إلى مكانه، تدور حوله بالعربة كأنها مرتبكةٌ ثم تترك العربة، تدور حوله وتمسك بيده)

هي (تعنذر):

أعتذر، سيدي الشاعر... أرجوك، كُن بخيرٍ حتى نصل إلى البيت... كل هذا خطأً مني، كان يجب أن آخذك من هنا.

(يحاول التماسك ويمسك بيدها محاولاً أن يخطو خطوةً واحدةً، تساعده، يلتفت حوله كأنه يريد الجلوسَ والاستراحة. تفهم إشارته وتتحرك تجاه المكان، تجد برميليّ طلاءٍ متوسط الحجم، تسرع بأخذه إلى المكان. بصعوبة يحاول الجلوس بمساعدتها)
(يضحك وهو يطرق برأسه)

هو:

رثى صديقي عالمنا كله، وليس فقط نفسه.

(يصمت للحظات، يسعل، يتحرك خطوةً واحدةً ويردّد):

سأترك في وطن الحرب⁶

ما أبقت السنوات العجاف

من الجسد المتهالك

أتركه،

وأطير بروحي إلى عالمٍ

ليس فيه بكاءٌ

على طللِ الوقت،

أو تتغشاه حربٌ ضروسٌ

تسوق القرابين

نحو مذابح لا شيء فيها

يباركة الله

⁶عبد العزيز المقالح

لا شيء فيها لخير البشر.

(يصمتُ للحظات. هي تسرعُ تبحث عن الماء، تجد عبوةَ الماء بجانب الكتب، تحضرها. يأخذ جرعاتٍ صغيراتٍ كأنه يحسُّ ببعض التحسن، يتنسم، يعود للصمت وكأنه يبكي من داخله وأعماقه.)

(ثم يكمل مقطعاً من قصيدة "يوتوبيا"):

لم تلدها القصائدُ والأمنيات
ولا أبدعتها من الغيب أشواقنا،
هي قائمةٌ منذ بدءِ الوجود
ولكننا لا نراها بأعيننا الكايبات،
هنا الصبح ما زال فيها طرياً
نقياً شفيفاً كما كان
ساعةً أن بدأ الكون رحلته،
والسماءُ التي اقتربت من أصابعنا
كلَّ ليلٍ توشوش للأرض

تمنحها بعض أسرارها
لا تخاف رقيباً
ولا طلقةً سوف تدركها
من هنا أو هناك.
تقترب منه مشفقة عليه.

(تقترب منه مشفقةً عليه، تهمس له)

هي:

سيدي الشاعر، يبدو أنك تحبُّ صديقك هذا الشاعر الذي
تردّد قصائده. يظهر شعره حزيناً أيضاً... كنتُ أظن أن الشعراء
يكتبون عن النساءِ ومغامراتهم ويمدحون الكبار ويبيعون الوهم.

يضحك كأنه سمع نكتة،

يحاول النهوض وفعلاً ينجح.

يردّ عليها:

الشعر هو صوت الفرح والحب والأمل.. صوت الشجر والحجر
والحمام.. يا إلهي، شغلي الوجع ونسينا الحمامة.. هيا نحزرها
ونعتني بها.. ربما فعلاً أحتاج إلى غفوة وأغنية وفنجان قهوة بشرفة
بيت صنعاني أو ركضة على عتبة البحر في عدن أو أشم رائحة
الطين في المكلا أو أهازيج وديان تهامة.. هاتي الحمامة، لا
تكوني قاسية.

هي تبسم وتطيع أمره، تخطو خطوات وتعيد العربة لمكانها،
يخطو خطوات بفرح، يشير إليها بالماء، تفهم قصده، تأخذ
القنينة، تفتح القفص وتضع بعض الماء، يكون متهلل الوجه.

يَهْتَف:

يا إلهي⁷

لم يعد ثمة لغز،

⁷عبد العزيز المقالح

وحدهُ الإنسانُ لغزُ الأرضِ
يبدو غامضاً سهلاً
وسهلاً غامضاً
كالوحشِ أحياناً
وأحياناً ملائكةً.

يصمت

يضحك ويهمس:

يبدون كلهم أطفالاً.. كأني أشعر بفرحهم الآن.. من فعل بهم
وبناكلّ هذا العبث.

يمدّ يديه ويأخذ الحمامة، والتي تبدو بحالة بائسة، وهي تأخذ
الأرنب. تتشجّع وتمسح على جسده ثم تأخذ الدجاجة، تخطو
عدة خطوات بينما هو شاردٌ يحتضن الحمامة.

هي:

سيدي، أنت محق.. تبدو حالتهم مزرية وخائفون ربما مثلنا
والكثير من الناس.. كيف جاءت الحرب ومتى ستنتهي؟ لا أحد
يعلم.

يخطو خطوات عدة وهو يرفع الحمامة ثم يعيدها لصدره بلطف.

ويردّ عليها:

تولّد الحرب⁸

منّ الأسئلة الخائبة الكبرى

ومنّ خوفٍ يحزُّ الرُّوحَ في مقصلةِ الحقدِ،

ومنّ شوقٍ إلى الموتِ

وأطماعٍ بأرضٍ

وطئتها قدمُ الشيطانِ أزماناً

وكانتْ وطناً للندمِ العالقِ

في نارِ البشرِ.

يصمت

ثم يشير إليها:

لنغادر في سلام ونسرع نُطعم هؤلاء الأطفال.

توافقه وتقترب منه يستعدّان لأخذ بقية الكتب والمغادرة.

⁸عبد العزيز المقالح

في لحظة خطواتهم للمغادرة يسمعان صوتاً غريباً ومن ثم تقترب
منهما على الأرضية لعبة طائرة حربية
تُصدر صوتاً مفرعاً.

ثم يظهر رجل ويده كرة قدم يضرب بها الأرض ويبدأ أخرى
جهاز تحكم للطائرة ويكون على خصره حزامٌ وعليه مسدس
يستوقفهما.

ويصرخ:

أنتما فين رايجين؟ وصلت الملعب ولازم تلعبوا معي.. أنا ما أحب
العنف لكن ما أقدر أقول لكم.. لو استخدمت المسدس ممكن
رصاصه تروح هنا ولا هناك وسأكون بريء من دمكم.

تحاول المرأة السيطرة على خوفها

وتحاول تفهم منه ما يريد:

أنت يا رجل.. الرجل الشهم ما يعترض طريق رجل كبير بالسن
وامرأة ويهددهم.. ما نحمل فلوس.

يضحك الرجل ويوقف الطائرة ويضع جهاز التحكم جانباً.

يضرب بالكرة على الأرضية ويستعرض بها.

ثم يردّ ساخراً:

لا أنا حرامي ولا نهاب ولا قاطع طريق قلت لكم . نتسلي ونلعب
مع بعض .. الدنيا صبح وهواء منعش وما في ناس والمثل يقول
جنة بلا ناس ما تنداس .

يقاطعها الشاعر متسائلاً:

قلت أنا في الصبح الباكر .. لكن تبدو إشراقة الشمس حزينة
كأنها مثقلة بالهموم أو مشفقة على ما يحدث لنا .
يضحك الرجل ويقترّب من المرأة فيزيد خوفها:

يا سيدي أنت رجل تبدو كأنك عجوزاً وأنا لا أفهم إيش قلت ..
الكلام النحوي وسمعتكم تحكوا عن الشعر .. أنا رأسي ثالث
إعدادي أربع مرات وفي كل المواد قلت خلاص أروح نلعب كرة
قدم وأصبح نجم وفلوس ورحلات وإلى الآن ما دخل جيبي نص
ريال .. يلزمني نتدرب ونحسن مستواي والأحسن ما أتعصب ..
بعدين وأحد رياضي مثلي محتاج لتغذية خلاص الأرنب للغداء

والدجاجة للعشاء وأنتم يهناكم هذه الحمامة.. أنتم شايفين
قسمتي عدل.. أنا ما أقبل الظلم.

يصرخ فيهم يجبرهم على ترك الكتب ويتقدم ويأخذ الدجاجة
والأرنب.. ينظر إليه الشاعر
ويخاطبه:

البشر هم البشر، سواء ولدوا في القاهرة أو في باريس، في لندن
أو في برلين، لكن الظروف هي التي تتحكم في رغباتهم.
نعم.. ما أسهل الظلم، وما أصعب العدل، وما أسهل الشر،
وما أصعب الخير. هكذا تقول قوانين الحياة.
يصمت أترى لهوك العبثي وأن ترعبنا عدلاً؟

يذهب الرجل ويعيد الدجاجة والأرنب بالقفص ثم يغلق القفص
ثم يردّ:

الكل يلعب بنا ويشوتون بنا يمين ويسار وشرق وغرب.. أنت
تفهم الشعر يوجد شاعر منكم قال . إنما العاجز من لا
يستبد... صح؟

أنا لا يخلصني أخذ هذه الحمامة منك.. يظهر لي أنك تحبها
كثير.

تتقدم المرأة مظهرة شجاعة:

شوف يا ابن الناس.. نحن كنا سنغادر من هنا ولا ندري ماذا
سيحصل؟

نحن جميعاً في أيام كرب وحرب وموت لسلامتك وسلامتنا
خلاص خذ الأرنب والدجاجة وكل واحد يروح لحال سبيله ولا
تمس الشاعر.

يضحك الرجل.

يأخذ الكرة ويضرب بها الأرض وكأنه يخيفها، يقترب منها
ويتحرك بالخشبة كأنه يرقص ويغني أغنية راب.

(الأغنية خليط من لهجات يمنية)

يفرقهما عن بعض ويصبح في الوسط، يتحدث بغرور مهدداً

وهو يرفع مسدسه:

شوفوا.. أنت وهي.. أنت وهو.. المسدس مشحون ومليان
وحزامي متروس رصاص، والرصاص أرخص من الخبز وفي كل

مكان.. الخبز دائماً معدوم.. يعني راح تلعبوا معي مجاملة لي أو خوف أو حتى بطيبة نية.. تعرفوا بطلنا ما أحد يعرف أحياناً مين مات وكيف؟ مين قتل مين؟ الدنيا سايبة وفوضى .
على فكرة قلبي طيب مع الطيبين والطيبات فهمتوني؟
تعود المرأة بجوار الشاعر كأنها تحميه وتتحدث للرجل العنيف:
أخينا سلامات.. سلامات تحكي جد أم ترعبنا وإيش الشر من الصبح قلت الأماكن هنا خطرة، خطر خطر وموت، تفهم موت.. نروح لبيوتنا أحسن بسلامة الله وحلال عليك الدجاجة غداك والأرنب عشاك.
نرى الشاعر غير خائف حيث يسير خطوات، رغم أن الرجل يصبوب المسدس نحوه.
الشاعر: .

يا إلهي استوحشتُ رُوحِي⁹
وهذا زمنُ الحربِ استوى
لم يُطلقوا النارَ على رأسي

⁹عبد العزيز المقالح

ولكنّ العيونَ الفارغاتِ احتشدتْ حولي،
وحطَّ البدوُ في الضّاحيةِ الأخرى

من البيتِ،

وجاءوا يستظلُّونَ

وهمَّحونَ تضاريسَ الكتاباتِ

على لوحٍ من المرمريّ..

كانوا يسرقونَ الكعبةَ الغزاةَ

ثوبَ العيدِ..

يا اللهُ

من أينَ أتى هذا الجرادُ المرُّ

والحشدُ الذي يعدو إلى الخلفِ

يقود العِقَّةَ الكُبرى إلى المبعى،

ولا يدري.

له أُذنٌ من الطَّينِ

وقلبٌ من حجرٍ.

يتوقف الرجل عن اللعب وكأنه تأثر بالمقطع الشعري، ثم يهز رأسه ويعود يركض بالكرة يستعرض مهارته، ليعود إلى الشاعر ويخاطبه:

تستحق تصفيق يا عم أقصد يا جد.. أكيد أنت جد وجد الجدود.. عفواً لا أسخر منك معاذ الله نحن قبائل والقبيلي قبيلي لو لبس بنظلون أو لعب كورة.. كلامك على عيني ورأسي شوفوا لو سجلتم عليه هدف.. أروح لي بعد حالي ولكم السلام. حاجة سهلة، ليش تكبرونها وتصغرونها؟ قلت لكم من البداية: تعالوا نلعب في زمن الحرب، مثل "حب في زمن الحرب" أو "حب في زمن الطاعون.

يضحك الشاعر، ويبدو أنه اقتنع بالفكرة.

يصحح له الاسم:

تقصد الحب في زمن الكوليرا للروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، وهذه الرواية يكون الموت فيها هو البطل والبدائية، وتنتهي بالبحث عن المسارات الأبدية، وبين دور الموت وهدف

الخلود، الكثير من التفاصيل تتفاعل وتتمازج مثل الحب والحرب
والوباء والعادات والتقاليد.

يصمت.

ثم يكمل وهو يشير إلى المرأة:

فكرته بديعة، قد نموت بعد لحظات، وربما ترتفع أرواحنا إلى
أعلى... لنلعب، ما الشر في ذلك؟ أرى الأطفال يعودون إلى
اللعب بعد كل غارة وجنازة.

يكون الرجل فرحًا ويسرع بترتيب الخشبة وما يوجد عليها
ليحوّلها إلى ملعب كرة قدم في الشارع.

يتسم الموقف بالتغيير، ويتحرك الرجل العجوز لمساعدة الرجل
في إعداد الملعب، وتكون الكرة بمقدمة وسط الخشبة. تظل المرأة
غير فاهمة، وهي تتابع ما يحدث ثم تلتحق بهم.

يستخدمون مظلة محطة الباص كأنها مرمى، توضع على يسار
الخشبة التي كانت تسودها الفوضى.

يحدث تحول نوعي بزوال التوتر، وتسود أجواء الفرح والكوميديا. يضع الرجل القفص بمقدمة الخشبة، وقد نسمع صوت الدجاجة.

يبدأ اللعب بالتسخين قليلاً، وكأن الأجساد تظهر أكثر تحرراً، ويُحدث الرجل بعض القفشات الكوميديّة، نرى الشاعر جاداً ومتحمساً باللعب.

ثم يقف الرجل كحارس مرمى، وعلى بعد مسافة في اليمين، تكون الكرة بركلة، يستعيد تسديدها الشاعر مع هتاف من المرأة، يسدد الشاعر، ثم تأخذ المرأة الكرة وتسجل هدفاً، تركض وتزغرد، ويكون الشاعر فرحاً، والحمامة لا تزال بحضنه.

يتبادلون الأدوار، فتذهب المرأة كحارس وتصد ركلة الرجل الذي يضحك ويمرح. وهكذا يلعبون بعض الوقت بسعادة وفرح، كأنهم نسوا الحرب والمخاطر.

فجأة تتغير الإضاءة، حيث تظلم الخشبة، ثم يعود الضوء.
نرى لعبة الطائرة الحربية تتحرك مستوية على الخشبة، بينما
يندفع الثلاثة كأهم يبحثون عن ملجأ.
تكون ومضات ببعض الجوانب، وعممة وحركة مستمرة،
وضجيج الطائرة للعبة.
ثم نرى أشبه بالطوب الحجر يتناثر من الجوانب، وأكياس قمامة
مختلفة الأحجام تسقط من الأعلى لتعم الفوضى المكان، بينما
يتكوم الثلاثة وسط المسرح.
تمتلئ الخشبة بهذه الأكياس، عممة تامة، لكن الطائرة الحربية
اللعبة تظل تصدر الضوء والضجيج الذي يصل فزعه وقوته إلى
مقدمة الخشبة.

النهاية

تنويه:

هذا النص ضمن سبعة نصوص ضمن تجربة تشابكات الشعر والمسرح.
وهنا لا يعني معالجة مسرحية للنص الشعري، ولا أن العمل مستوحى كاملاً
من النص الشعري. ثمة تشابكات مهمة تحدث هنا، ويظل النص الشعري

قويًا كنص بما فيه من صور وخيالات. وبالتأكيد سيلعب الممثل دورًا مهمًا في التعامل مع النص، وكذلك يفتح نوافذ تخيلية بالنسبة للمخرج. أي كل شيء قابل أن يتحرك أكثر، وأن تتضافر اللغة المسرحية للمزيد من الأفعال والحركة. وقد لا تصل كل العناصر بمجرد قراءة هذا النص كنص مكتوب وتلقيه عبر القراءة، ولكن هذا لا يمنع أن تكون هنا متعة تفتح أبواب التخيل والتذوق.

أنجز حميد عقبي مجموعة من الأعمال السينمائية والمسرحية ومرفق رابط لمشاهدة ثلاثية سينمائية القصيدة الشعرية.. للمخرج السينمائي اليمني حميد عقبي ثلاثة أفلام بفيديو واحد

<https://youtu.be/ozZCSllfXc>

ليلة عاصف

نص قصير جدًا من فصل واحد

في أجواء طقس تبدو ليلية عاصف، كأنها نصل يمزق الصمت، ولكن ثمة ضوءٌ وكأنه ضوء القمر، تتمظهر علاماتُه بلامح لونية تميل إلى الأزرق الخافت والأنيق على المكان، رغم الطقس العاصف (نشعرُ به عبر مؤثرات صوتية متعددة).

حيث نسمع صوت الريح وكأنها أزيزٌ غاضبٌ يهدأ أحياناً ثم يعود ليرتفع.

تتواجد أضواءٌ متعددة تأتي، لكن يبدو أن مصدرها بعيداً، وهذه الأضواء أيضاً ستخفت أحياناً وتقوى أحياناً على مسار العمل الذي سينقسم لعدة لوحات، وسيلعب صوت الريح ومؤثرات صوتية أخرى طبيعية مع الضوء لتعيق حالات انفعالية ونفسية، وكذلك تلعب الأصوات والأضواء وظيفته الستارة عندما تنتهي لوحة وتبدأ أخرى.

المنظر المسرحي كأنه بمكانين بينهما بعض التشابه، أو مكان واحد يفصلهما حواجز هشة مصطنعة، أسلاك صدئة، ويوجد برميلان في حالة رثة وصدئة. في العمق المكان، كأنه سفح جبلي أو مرتفع مغطى بطرايل أو قماش بألوان متعددة. قرب كل برميل توجد أشياء مهمة كبقايا معلبات غذائية وأحجار، أعواد خشب وأغصان جافة وبقايا أوراق. يزداد صوت هبوب الريح بشكل واضح وتزداد قوته أكثر وأكثر. يكون قدوم الهواء من العمق بحيث تتحرك وترفرف بعض الأكياس البلاستيكية العالقة في الشباك التي تفصل المكان لنصفين، وبعضها أيضًا قد يمتد إلى مقدمة المسرح. نتعاش مع هذا الجو.

ثم نسمع صوتًا بشريًا يأتي من خلف البرميل اليميني. الصوت يكون أشبه بأنين، وسرعان ما نسمع صوتًا آخر لإنسان من خلف البرميل الثاني باليسار، وهو أيضًا صوت أنين يتمزج بالتنهيدات.

يستمرُّ هذا الأنينُ والنحنحةُ ثم السعالُ، ويكونُ أشبهَ بالحوارِ.
هذا يسعلُ فيردُّ عليه الثاني بسعاله أو هذا يتنحَّحُ.

ثم نرى شبهَ حركةٍ من البرميلِ باليمينِ، نرى أحدهم يرمي بعلبٍ
معلباتٍ صدئةٍ وأحجارٍ صغيرةٍ وبقايا أوراقٍ، وبعدها نرى حركةً
مشابهةً من وراءِ البرميلِ باليسارِ.

يظهرُ رأسُ الأولِ باليمينِ ملتحفًا ببطانيةٍ مهترئةٍ، وبعدها يظهرُ
الثاني أيضًا يلتحفُ ببطانيةٍ رثةٍ وممزقةٍ أيضًا.
الأولُ في اليمينِ يصرخُ غاضبًا:

مالك؟ ما هي مشكلتك؟ تقلدني في كلِّ حركة؟ أسعلُ تسعلُ
بعدي، أتحنحُ تتحنحُ بعدي؟ شلوك الجن؟

يردُّ الثاني غاضبًا ويستوي قائمًا وهو مغطى ببطانيةٍ ممزقةٍ
ومهترئةٍ:

أنا أصلاً كنت ناوي قبلك أسعلُ وأنت تسرقُ حركاتي.

الأولُ يستوي ويكونُ متدثرًا.

يردُّ:

أنا أقلدك أنت! والله آخر العجائب!

النصاص قاموا والقوالب ناموا... أنا أسرقُ فعلك يا أجب!

يحركُ الثاني برميله قليلاً ويزدادُ غضبه:

ما أجبُ إلا أنت! يظهرُ ليكَ ثورٌ ما تعرفُ إلا الترفيسَ.

يحركُ الأولُ البرميلَ أيضًا ويردُّ:

وأنتَ يمكنُ تشبهُ الجدِّيَّ القزمَ بدونِ قرنٍ و...

يقاطعه الثاني وهو يهتُّ ويتقدمُ خطوةً:

أنتَ مدحلٌ مثل قواطيةِ الفولِ المدحلةِ.

يستمرانِ لبعضِ الوقتِ، كلُّ واحدٍ يشتمُ الثاني ويسخرُ منه

بعباراتٍ فيها تهكمٌ وكوميديا.

تهبُّ ريحٌ قويَّةٌ، ونسمعُ أشبهَ بضجيجٍ، ثم صوتُ ضربةٍ رعدٍ،
وكأنَّ هذه الضربةَ تريدُ أن تسكتَ هذا التراشقَ بالشتائمِ.
يخفضُ كلُّ واحدٍ رأسه ويتدثرُ ببطانيتهِ.
للحظاتٍ، يسيطرُ صوتُ العاصفةِ ويضعفُ الضوءُ قليلاً.
ثم صمتٌ لحظاتٍ.

ثم ينهضانِ من جديدٍ، ويبدو عليهما ملامحُ الخوفِ والهلعِ، كلُّ
واحدٍ يلتفتُ يميناً وشمالاً ويدورُ حولَ نفسه ويتحسَّنُ جسدهُ،
كأنَّ بعضَ العلبِ المستخدمةِ تتدحرجُ من عمقِ المسرحِ.

الأولُ، يأخذُ أنفاساً متقطعةً، يسألُ:
ما هو هذا؟ ضربٌ؟ ولا قصفٌ؟ ولا رعدٌ؟ حسيْتُ أن الأرضَ
تهتُّ؟
يردُّ الثاني بعد أن يركلَ علبةً فارغةً بقدمه ويبيدها بعيداً:

قالوا لنا هذه الليلة الأخيرة، يا ربُّ تعدي بخيرٍ. وبعدين ما هو
من ضربٍ، خلاص بح... المخازن فرغت والجيوب فرغت
والأماكن تهدمت، ما في مكانٍ لا عندنا ولا عندكم.
يردُّ الأول وهو يتحرك ويحرك ذراعيه:
الليلة الأخيرة ونخلص منك وتخلص مني... نخلص من هذا
المكان الموحش! والله ياكم مشتاقُّ أرجع لأرضي وناسي وأغني
للأرض وأقول.
يعني أغنية تراثية تمجد الأرض.

ما أن ينتهي، يردُّ عليه الثاني بأهزوجة تراثية تتغنى بالأرض
والسلام.
وهنا يكون الضوء أكثر قوةً وصوتُ الريح يضعفُ كأنه يريدنا
أن نسمع هذا الحنين إلى الأرض.
بعد أن ينتهي الثاني من أهزوجته، يقوم الأول بوضع البطانية
على برميله ويحرك البرميل قليلاً، ولا يبدو ذلك عن قصدٍ، ولكن
ردة فعلٍ الثاني تكون قويةً، حيث يسرع ويتوجه للعمق ويأتي

معهُ بقصبيةٍ أو حديدةٍ طويلةٍ ويهوشُ بها تجاهَ الشخصِ الأولِ،
مما يدفعُ الأولَ للبحثِ عن أداةٍ وفعالاً يجدُ حديدةً ويهوشُ بها
نحوَ الثاني، ليكونَ بدايةً صراعٍ لم نتوقعه.

خلال هذا الصراعِ، تزدادُ حدةُ وقوةُ صوتِ الريحِ.
يبدأُ الصراعُ بتهويشٍ، ثم يتقاربانِ بحذرٍ، وتكونُ هناكُ منطقةٌ لا
يتجاوزها أحدٌ منهما وكأنها منطقةٌ محظورةٌ أو خطيرةٌ، من
التهويشِ إلى التقاتلِ، وتتنوعُ الحركةُ بين لحظاتٍ عنيفٍ ولحظاتٍ
تكونُ الحركةُ فيها نوعاً من الكوميديا.

بعد صراعٍ وصياحٍ ضد بعضهما، يبلغُ بهما التعبُ والإرهاقُ
مبلغاً كبيراً، يتوقفانِ، كلُّ واحدٍ يحاولُ أن يلتقطَ أنفاسهُ ويسعلُ
ويلهثُ وكأن الهواءَ أصبحَ قليلاً وثقيلاً وكأنهما سيقعانِ من هذا
الصراعِ.

الأولُ، وهو يتمالكُ نفسهُ ويعودُ يحرسُ برميلهُ:
قطعتُ نفسي، الله يقطعُ نفسك... ما هو الذي غيرك؟ قد
كنتُ هادئاً وقلنا آخرَ ليلةٍ وكلُّ واحدٍ يروحُ لحاله.

يدورُ الثاني حولَ نفسه، يضعُ الحديدَ فوقَ برميله ويتعهدُه وكأنه
يطمئنُ عليه، ثم يردُّ:
شوف... المرّة الثانية راح أضربُ بالمليانِ لو حركتَ برميلك صبغَ
واحدةٍ... أقطعُ لك يدك.

يقاطعه الأولُ منفعلاً وكأنه يستشهدُ الجمهورَ:
يا ناس يا عالم... أنتم شاهدين... نحن كنا نغني وتذكُرُ أهلنا
وأرضنا... ما هو الذي أصابك؟ كأن الجنَّ ركضوك!
يضحكُ الثاني ويردُّ:
الجنُّ والله هم أحسنُّ منا ومنكم ولا لهم دخلٌ... أما وهي
الشياطينُ ركضتك!
يكونُ الأولُ قد أخذَ قسطاً من الراحة:

هي الشياطينُ ركضتكم وركضتنا... كنا أهلاً وطالبن الله بعدَ
أحوالنا... ما هو الذي صارَ حتى بقي الدمُّ أرخصُ من الماء؟
وسنةٌ تروخُ وسنةٌ تيجي... لا أنتم ولا نحنُ عقلنا... ما هو إلا

جُنَانٍ فِي جُنَانٍ وَهَوَشَةٌ وَضَرْبٌ بَوْمٌ بَوْمٌ بَوْمٌ ... هَلَكْنَا أَرْضَنَا
وَضَيْعِنَا أَوْلَادِنَا... لَا أَنْتُمْ!

الثاني يضحكُ ثم يصمتُ ويبدو جادًا ويتحركُ ويردُّ:
والله وظنيتك جاهلٌ ومجنونٌ... كلامك حقٌّ... لكن أنا هنا
عبدٌ مأمورٌ.

الأول يردُّ منفعلاً وكأنه يسأل نفسه ويسألنا ويسأل الآخر:
أنت عبدٌ مأمورٌ وأنا عبدٌ مأمورٌ، والذين فوقنا يقول كلُّ واحدٍ
أنا عبدٌ مأمورٌ، ومن هو فينا الحرُّ؟ متى نتحررُّ؟ ومين هو السيدُّ؟
السيدُّ غريبٌ... كيف نكونُ عبيدًا للغرباءِ؟ وهذا يقولُ لنا
تضاربوا وهذا يقولُ تماوشوا... نحنُ كنا أحرارًا وعمرنا أرضنا وما
كان يغلبنا معتدٍ ولا ظالمٌ.

كأن الآخرُ يوافقهُ على كلامه:
تفرقنا وتمزقنا وأكل الأُخ لحم أخيه وأصبحنا مضحكةً.

يصمتانٍ للحظاتٍ وكأنهما يفكرانِ في شيءٍ ما وكأننا نشعرُ
بقربِ انفراجِهِ.

هنا يخرجُ الأولُ سيجارةً ويبحثُ عن كبريتٍ أو شعلةٍ، يبدو أنه
لم يجدها، ونرى الثانيَ يبحثُ ويجدُ كبريتًا ويبدو أنه لا يجدُ
سيجارةً. يُشعلُ الثانيُ أحدَ أعوادِ الثقابِ وكأنه يغري الأولَ.
الأولُ يناديه:

هاتِ كبريتٍ نغنمُ الريحَ هدأتْ ونعملُ سيجارةً ولو أنها مضرّة،
لكن هذا البردُ محتاجُ رأسِ مالٍ.

يضحكُ الثانيُ وكأنه يريدُ مقايضتهُ:

أنا عندي الكبريتَ وأنتَ عندك السيجارة... هاتِ سيجارةً
الأولُ وبعدها أرمي لك بالكبريتِ.

كأن الأولُ يفكرُ وهو يمشي قليلاً دون أن يتعد كثيراً عن
البرميلِ ثم يردُّ:

رجعنا للمواغدة، للمغادرة، يا وغد... والغدر... أنتَ ستأخذُ
السيجارةَ ولن تعطيني الكبريتَ... شاممُ الغدرِ في كلامك.

يقاطعه الثاني مستغربًا:

ما هو الذي خلى تفكيرك سلبياً؟ قبل قليل قلنا عاقلٌ وحكيمٌ
والآن صرتَ أنتَ الوغد! ما يمكنُ أعطيكَ الكبريتَ إلا من
تعطني سيجارةً.

يحدثُ النزاعُ من جديدٍ ويتطورُ بضربٍ ورميِ العلبِ الفارغةِ
وبعضِ الحجارةِ والأعوادِ الصغيرةِ ثم الطينِ المبتلِّ، وكلُّ واحدٍ
يقذفُ الثانيَ بالطينِ وتارةً هذا يصيبُ وتارةً هذا يصيبُ.

ومع احتدامِ الصراعِ، يعلو صوتُ الريحِ ويضطربُ الضوءُ وكأننا
مع معركةٍ، وتتدحرجُ مزيدٌ من العلبِ الفارغةِ وكأن هناك أيادي
خفيةٌ تزودُ كلَّ واحدٍ بهذه العلبِ التي تستخدمُ بالتراشقِ.

يبلغُ بهم التعبُ والإرهاقُ ويسقطانِ من شدةِ التعبِ وهما في
حالةٍ مزريّةٍ.

هنا نسمعُ ضربةً رعدٍ قويةٍ.

ينسحبُ كلُّ واحدٍ خلفَ برميله وتخفتُ الإضاءةُ حتى تصلُ
حدَّ العتمةِ.

صمتٌ يطولُ للحظاتٍ.

بعد لحظاتٍ من العتمةِ والصمتِ التامِ، يعودُ صوتُ الريحِ خفيفاً وكذلك الضوءُ، ويظلُّ نفسُ المنظرِ دونَ تغييرٍ، ويكونُ كلُّ واحدٍ منهما متدثرًا ببطانتيتهِ وخلفَ البرميلِ.

نسمعُ من جهةِ الشخصِ الثاني بعضَ الحركةِ، ثم يظهرُ وهو جالسٌ، يزحفُ قليلاً كي نراه، ويغني أهزوجةً شعبيةً فيها نبرةُ حزنٍ وألمٍ.

يظهرُ الشخصُ الأولُ ويستمعُ بصمتٍ كأنه يعيشُ نفسَ الحالةِ، ثم عندما يكملُ الثاني أهزوجتهُ، يردُّ أيضاً بأهزوجةٍ مماثلةٍ بحيث تُضخِّمُ تفاعلنا مع ما يحدثُ.

فترةُ صمتٍ للحظاتٍ.

ينهضانِ معاً ويتحدثانِ بلسانٍ واحدٍ.

الاثنانِ معاً بصوتٍ واحدٍ:

الريحُ... تزرُّ الريحُ.

أهي غاضبةٌ منا؟

الطبيعةُ بأكملها غاضبةٌ.

غادرنا المطرُ وذهبت السحبُ السماءُ إلى بلدانٍ أخرى.
لم تعد الأشجارُ تثمرُ.

نسمعُ توجعها.

أينها وحزنها.

كلُّ شيءٍ احترقَ وسنونُ عجافٌ لا تنتهي.

حتى السبعُ السنابلِ اليابساتِ احترقنَ.

وماتت البقراتُ العجافُ ولم يلدنَ ولو بقرةً صغيرةً.

أين نحنُ؟

ماذا نفعلُ هنا؟

يصرخانِ وهما يطرحانِ أسئلةً محرجةً.

يتوقفانِ.

تتغيّرُ الإضاءةُ لرسمِ حالةِ الجمودِ والحيرةِ والخوفِ.

الأولُ، يوجهُ كلامه للثاني:

أظنك أنك فهمتَ اللعبة؟ هناك من يتلاعبُ بنا جميعًا.

ربما هو يختفي خلفي أو خلفك.

علينا أن نفلِّحَ هذه البراميلَ الصدئةَ و... و... نفعلُ شيئًا آخرَ
غيرَ حراستها وضياعَ عمرنا ونحن نسقيها ونثبتها.
الثاني ويبدو كأنه يتوافقُ مع الأول:
مضت سنواتٌ ونحن نتراشقُ بالرصاصِ والقنابلِ، ثم أصبحنا
نتراشقُ بمخلفاتٍ قدرٍة.
علينا أن ننظفَ هذه الفوضى.

كلُّ ينظفُ مكانه ونفكرُ بفعلِ شيءٍ.

هنا يُخرِجُ علبةَ عودِ الثقابِ ويرميه إلى جهةِ الشخصِ الأولِ،
وفعلاً يصلُ إليه ويسارِعُ ويلتقطه ويخرِجُ علبةَ السجائرِ ليكتشفَ
أنها توسختُ بسببِ الصراعِ السابقِ. يحاولُ أن يشعلَ عودَ
ثقابٍ ولكنه يكونُ مبللاً ولا يشتعلُ.
يصرخُ غاضباً:

بسببِ حماقاتك فقدنا التبغَ وهذه الأعوادُ لا تشتعلُ.
يردُّ الثاني مستغرباً:

أنتَ الأحمقُ الذي لم تتفقِ بي أولَ مرةٍ وهأنذا خسرتُ أيضًا.

يصرخُ الأولُ:

أنتَ من خونتنِي وأنتَ الخائنُ.

يحتدُ الشتامُ وتهبُّ ريحٌ مع ضعفِ الضوءِ.

يعودُ كلُّ شخصٍ إلى الحديدِ ويهوشُ كلُّ واحدٍ على الآخرِ، يستعزُّ الصراعُ أكثرَ. نسمعُ ونرى قنانيَ ومعلباتٍ تأتي من عدةِ جهاتٍ، تنشبُ معركةٌ نكونُ أشرسَ من المعاركِ السابقةِ ويتمُّ التصارعُ بكلِّ شيءٍ، ويكونُ المشهدُ أكثرَ فوضويةً وعنفاً. يبلغُ بهما التعبُ مبلغًا كبيرًا ويكونُ نهايةُ المعركةِ التراشقَ بالطينِ، إلى أن يقَعَ كلُّ واحدٍ منهما من شدةِ الإرهاقِ ولا يقدرانِ على الرمي، بينما تتدحرجُ المزيدُ من المخلفاتِ نحوهما ولا نرى من يقومُ بدحرجةِ هذه الأشياءِ.

كأنهما ينتظرانِ صوتَ الرعدِ القويِّ لكنه لا يأتي، ويبدو أن صوتَ الريحِ يتضخمُ أكثرَ وأكثرَ، وتهبُّ ريحٌ ودخانٌ كأنه

دخانُ الضبابِ ويتحولُ المشهدُ إلى لوحةٍ تشكيليةٍ يلعبُ فيها
الضوءُ دورًا هامًا.

ويعودُ كلُّ شخصٍ يتدثرُ ببطانتيه وهما في حالةٍ سيئةٍ.

تمرُّ لحظاتٌ ننتظرُ أفعالًا جديدةً، ثم يحلُّ الهدوءُ ويعودُ القليلُ
من الضوءِ.

نسمعُ سعالتهما، ثم صمتُ.

نسمعُ الأولُ وهو يتنهَّدُ ثم ينشدُ بصوتٍ مؤثِّرٍ ويتفاعلُ مع النصِّ
ويؤديه بحركاتٍ وتلويناتٍ صوتيةٍ ليشدنا مع كلِّ صورةٍ:

الظلامُ أسودُّ، أسودُّ، أسودُّ، والليلُ باردٌ باردٌ باردٌ، والأشباحُ تملأُ
المكانَ،

خوفٌ وطلقاتٌ بعيدةٌ ترددُ الجبالَ والجبالَ والوديانَ صداها،

الأسلحةُ تجمدتُ فوقها الأيدي،

الدَّمُ الحارُّ التصقَّ بالقصبِ الباردِ،

حبات الرصاصِ كانت دافئةً مثل القلوبِ القليلةِ التي تخفقُ
بالرَبوةِ.

الليلُ طويلٌ، طويلٌ، طويلٌ،

الدقائقُ دهورٌ والساعاتُ عصورٌ.

هل يدركُ أولئكَ معنى الموتِ؟

الأعينُ بامتعاظٍ عن المدينةِ التي تقبَعُ وراءهم.

الرَبوةُ تُشرفُ على سهلٍ والسهلُ أُجرَدُ أُغبرٌ . ألوانُ الموتِ . لا
لونَ آخرَ للسهلِ.

كلُّ شيءٍ أُغبرٌ،

الناسُ والترابُ والصخورُ،

الشجرُ القليلُ المتناثرُ.

العيونُ تتعودُ على الظلامِ لكنَّ البردَ يجمدُ الرؤيةَ.

ولكنه لا يبيلدُ الإحساسَ.

ما إن ينتهي من النصِّ حتى يصمْتُ قليلاً وهو يرتعدُ.

يصفقُ الشخصُ الثاني ويبدو أيضاً كأنه يشعرُ بالبردِ ويثني على

الشخصِ الأولِ:

لم أكن أدري أنك شاعرٌ وإحساسك مرهفٌ، لقد صورتَ واقعي
وواقِعك وواقِعنا جميعًا.

يردُّ الأولُ محاولًا أن يضحك فتكونُ سعلَةً:

إنه ليس شعري، إنه من قولِ القاصِّ محمد عبد الولي في بداية
قصة "الأطفال يشيبون عند الفجر".

يسأله الثاني مندهشًا:

سمعتُ عنه ولكن ما يدرية بحالنا في هذه الليلة الباردة؟
يردُّ الأولُ:

ماتَ محمد عبد الولي قبل نصفِ قرنٍ وها هو الزمنُ يدورُ
والصراعاتُ تقوى وهذه نتمناها الليلة الأخيرة.. لنكتفي.

أنا قررتُ ألا أرفعَ السلاحَ ضدك وحتى لا نتصارعَ، لنفكر في
شيءٍ.. ساعاتٍ قليلةٍ وينقشعُ الليلُ وربما سينتهي هذا المكانُ
ليكونَ حقلاً من الياسمينِ والورودِ أو شيءٍ جيداً.

الثاني كأنه متأثرٌ بما سمعَ ويردُّ:

أنا كذلك لن أرفعَ سلاحِي ضدك وأتمنى أن يكونَ هذا المكانُ
ساحةً وملعبًا للأطفالِ يلعبونَ ويتأرجحونَ دون خوفٍ وحوهم
الشجرُ والزهورُ والفرشاتُ.. ولكن علينا أن نكنسَ هذه
الفوضى، أنا أنظفُ مكاني وأنتَ تنظفُ مكانك ولا نعيدُ
الترشقَ والاختتالَ بقاذوراتِ الآخرين.

يوافقهُ الأولُ ويبدأُ كلُّ واحدٍ العملَ وجمعَ المهملاتِ، وتكونُ
الريحُ قد هدأت قليلاً والضوءُ جيدٌ لحدِّ نرى تفاصيلَ عدةٍ.
بينما هما يعملانِ كلُّ واحدٍ في مكانه، كأنَّ الودَّ والألفةَ زادت
بينهما، يقترحُ الأولُ اقتراحًا وينادي الثاني:

هي أنتِ.. ما اسمك؟

أتدري نحن هنا منذ زمنٍ ولا نعرفُ أسماءَ بعضنا.. حسنًا لا تهتمُّ
الأسماءُ، ما رأيك أن نغيرَ الحديثَ ونبحثَ عن بعضِ المرح؟

يسألهُ الثاني:

ماذا تقصد؟ نقولُ نكت؟

الأولُ متحمسًا:

فكرةٌ جيدةٌ جدًّا.

الثاني يفكر ثم يوافق:

ولكن بشرطٍ ألا تكونَ بديعةً أو تسخرَ مني.

يوافقه الأول:

حسنًا، لتبدأ أنت.

يتقدمُ الثاني وكأن في فمه نكتةً ولكنه يعجزُ ويبدأ بالكلام:

مرةً كان في واحدٍ... لا، مرةً كان في اثنين.. لا، أسمع..

أحاولُ أتذكر نكتةً.. قبل هذه الحروبِ متأكدٌ أنني كان عندي

نكتٌ وأحلامٌ وحبّيةٌ وربما أبناءٌ وبناتٌ.

يحاولُ أن يتذكرَ ويبدأُ جهدًا كبيرًا ويصابُ بخيبةٍ أملٍ أنه لم

يتذكرَ ولا نكتةً، يعتذرُ بحزنٍ:

اعتذرُ.. لم أضحكُ منذ وضعوني في هذا المكانِ وأصبحتُ

العقاربُ والثعابينُ معي ولم أعد أضحكُ، ولكن قل أنت نكتةً،

ربما بعدها أتذكرُ واحدةً.

يكونُ الأولُ واثقًا من نفسه ويتقدمُ، يستعرضُ ويؤدي تحيةً
للجمهورٍ ويبدأُ:

ولا يهملك، أنا عندي ألفُ نكتةٍ، أغرقك وأغرقكم نكتًا وهيا
أمسكوا نفسكم.. رح تضحكوا لما تموتوا.

حسنًا.. قال مرةً كان في واحدٍ.. واحدٌ وهذا الواحد.. لحظةً..

أمسكوا نفسكم هذا الرأسُ مليونُ نكتٍ وشعرٍ وقصصٍ.

قال مرةً كان في اثنين.. صح كان في اثنين..

يبدو عليه الارتباكُ والحرجُ ويهذي بصوتٍ منخفضٍ ولكنه يظهرُ
أن حالته تشبهُ حالةَ الثاني ويحاولُ ويضربُ على رأسه ويكونُ
غير مصدقٍ لما يحدثُ له، يصرخُ وكأنه يعتذرُ:

أقسمُ لك.. أقسمُ لكم أي كنتُ أحفظُ المئاتِ، لا أدري ما
الذي أصابَ ذاكرتي!

يحاولُ الثانيُ تهدئته:

ربما تُشرقُ الشمسُ بعد ساعاتٍ وتنتهي هذه الصراعاتُ ونعودُ

لحياتنا الطبيعيةِ، سئمنا الظلمةَ والبردَ والخوفَ والشكَّ في كل

شيءٍ.

الأولُ يتنهَّدُ ثم يبكي بصوتٍ منخفضٍ:
عندما يعجزُ الإنسانُ أن يتذكَّرَ نكتةً واحدةً ليضحكَ للحظةِ
واحدةً، فهذا ربما فقدنا كل شيءٍ بدواخلنا.. أي إنسانيتنا.

يردُّ الثانيُّ وهو متألِّمٌ أيضًا:

هم يتحملونَ مسؤوليةَ كل هذا الخرابِ الذي حلَّ في الأرضِ
وفينا.. كثيرون هنا وفي مثل هذه الأماكنِ الموحشةِ مغرَّرٌ بهم أو
باعوا لهم الوهمَ والخرافاتِ والوعود.. هم أولئك الذين أجمروا
وكل من ساندَ ودعمَ و.. وُ
أعجزُ عن تصورِ أننا بقينا أغبياءَ كل هذا الزمنِ حتى فقدنا كل
شيءٍ.

الأولُ، يبدو مرهقًا، يتحركُ ببطءٍ، يجلسُ ويتدثَّرُ ببطانتهِ، يحاولُ
الثانيُّ أن يضحكَ لكنه يبكي، يتحركُ أيضًا ويتدثَّرُ ببطانتهِ،
يشتدُّ صوتُ الريحِ، تحدثُ حركةٌ بمؤثرٍ خارجيٍّ تبعثُ العلبَ
الفارغةَ.

نسمعُ عدَّةَ ضرباتٍ قويَّةٍ للرعدِ مع ضعفِ الضوءِ.
يضعفُ الضوءُ أكثرَ وأكثرَ.
ظلمةٌ تامَّةٌ.

ضرباتُ رعدٍ قويَّةٍ.

النهاية.

الفهرس

3	الإهداء.....
4	كلمة شكر خاصة.....
5	نشوان . يا إلهي . ليلة عاصفة.....
7	نشوان
7	المشهد الأول.....
24	المشهد الثاني.....
38	المشهد الأخير
65	يا إلهي.....
67	المشهد الأول.....
104	ليلة عاصف.....
127	الفهرس